# ديوان
# ابي جعفر احمد بن سعيد
## جمع وتحقيق

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية ( 2013/7/2602 )

الربيعي، أحمد حاجم

ديوان أبي جعفر أحمد بن سعيد/ أحمد حاجم الربيعي.

عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013

( ) ص

ر.إ: ( 2013/7/2602 ).

الواصفات:/ اللسانيات // فقه اللغة// اللغة العربية

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ®
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-572-38-9

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو باي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و خلاف ذلك إلا بموافقة على هذا كتابة مقدماً.

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

تلفاكس : 5353402 6 962+
خلوي : 95667143 7 962+

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

# ديوان

# أبي جعفر احمد بن سعيد

## جمع وتحقيق

الأستاذ الدكتور
احمد حاجم الربيعي

الطبعة الأولى

2014م - 1435هـ

# الفهرس

المقدمة ..... 7

## القسم الأول

## حياة أبي جعفر

1 - اسمه ..... 11

2 - أولية أسرته..... 11

3 - ولادته ونشأته ..... 16

4 - ثقافته..... 17

5 - تأليف كتاب المغرب في حلى المغرب ..... 19

6 - شاعريته وآراؤه النقدية ..... 21

7 - وزارته ..... 26

8 - مجالس الأنس والأدب ..... 29

9 - أبو جعفر وحفصة الركونية ..... 38

10 - محنته ومقتله..... 54

11 - شعره ..... 59

## القسم الثاني

ديوانه..... 93

المصادر والمراجع ..... 121

# المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على نبيّنا محمد سيّد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

عرفتُ أبا جعفر أيام دراستي الماجستير عام 1980، إذ طلب منّا أستاذ الأدب الأندلسي الدكتور حكمة علي الأوسي تقديم بحث مصغّر لغرض الحصول على درجة السعي في مادته، وعرض علينا قائمة بأسماء الشعراء الأندلسيين، فوقع اختياري على أبي جعفر بن سعيد، ولم تكن لي معرفة بالشاعر أو بمصادر دراسته، فوضعت جهدي في الحصول على المصادر والمراجع التي يرد فيها، وقضيتُ مع الشاعر أيامه ولياليه حتى نسيتُ نفسي، وأنا أصول وأجول معه في مجالس الأدب، ودعواته الى النزهة بين رياض الأندلس ومنازهها، وأقف مع حرّيته، وأتوقف عن مصاحبته في ابتذاله، وانتهت جولتي معه يوم أنهيت البحث وقدمته لنيل درجة النجاح في مادة الأدب الأندلسي.

ومضت مدة من الزمن، عدت الى البحث فقرأته، وأخذت في تهذيبه، وإضافة ما ينقصه من معلومات حصلت عليها، وقدمته للنشر في مجلة المورد - العدد الأول لسنة 1993 - وبعنوان (شعر أبي جعفر بن سعيد). وأبو جعفر شاعر ظريف من أسرة بني سعيد العريقة التي يرجع نسبها الى الصحابي الجليل عمّار بن ياسر (رضي الله عنه) وقد اشتهرت هذه الأسرة بالرياسة

والأدب، وكان أبو جعفر أشهر شعرائها، وله ديوان شعر معروف، ولكنه ضاع مع ضياع دواوين كثير من الشعراء.

وقد رأيتُ من تمام الفائدة أن أعيد نشره في ديوان مطبوع يستوعب جل شعره، مع تحقيقه وتوثيقه بعد أن وجدت مادة علمية تغني الديوان وتضيف اليه جديداً، لينال نصيبه من البحث والدراسة، ولأن شعره يمثل مرحلة تاريخية، وهي انتهاء عصر المرابطين وابتداء عصر الموحدين، وفي العصر الأخير استقرّت الأحوال السياسية، وازدهر الشعر، وشاعت أغراض شعرية مثل الاخوانيات، والدعوات الى مجالس الأنس، والخروج الى المتنزهات وما يدور فيها من مساجلات ومطارحات شعرية، وحضور المرأة الى المجالس الأدبية لمشاركة الشعراء مساجلاتهم وبعض أغراضهم.

ومن خلال البحث والتقصّي في مصادر الأدب الأندلسي عثرتُ على ثلاث وسبعين قصيدة ومقطوعة، وموشحة واحدة، وحاولتُ تخريجها ومقابلتها بما ورد من روايات لها في تلك المصادر فوثقتها، ثم قسّمتُ الديوان على قسمين، الأول: تحدثت فيه عن حياة الشاعر عن ولادته ونشأته، وثقافته ووزارته، ومجالس الأدب، ومجالس الأنس، وعلاقته بالشاعرة حفصة الركونية، ومحنته ومقتله. والقسم الثاني: ديوان شعره وترتيب قصائده ومقطوعاته على حروف المعجم، وقمت بالشروح والتعليق على ما يرد فيها من ألفاظ غريبة، أو أسماء أعلام وأماكن، وأحداث تاريخية، وما ورد من اقتباس وتضمين لآيات القرآن والحديث الشريف والأمثال والأشعار.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم عمل يخدم الباحثين والدارسين، ويضيف جديداً الى المكتبة الأندلسية، وليس لي إلاّ أن أردد قوله تعالى: (وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

**المؤلف**

# القسم الأول

# حياة أبي جعفر بن سعيد

# القسم الأول

## حياة أبي جعفر بن سعيد

### 1. أسمه ونسبه:

أبو جعفر احمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن عمّار بن ياسر صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[1] وقد أورد ابن حزم هذا النسب نفسه مع اختلاف يسير، وهو إبدال كل اسم سعيد بـ (سعد) في سلسلة النسب هذه، ثم أكمل هذه السلسلة بقوله: ((وينسب ياسر الى مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس - فلقب أبو جعفر بالعنسي نسبة لهذا الجد - وعنس هذا ابن مالك بن أدد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبأ في اليمن)) [2].

### 2- أولية أسرته وقلعتهم:

لم تعرف الأندلس مسمّيات عدّة مثلما عرفته قلعة (بني سعيد)، فقد اكتسبت شهرة واسعة من شهرة أسرتهم في الأندلس، وكانت هذه القلعة تعرف فيما مضى من الأزمان - أي في العصر الروماني الذي يسبق الفتح العربي

(1) ابن حزم: جمهرة انساب العرب 406 وابن سعيد: المغرب في حلى المغرب 2/ 161 وابن سعيد: رايات المبرزين 95 وابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة 222/1 والمقري: نفح الطيب 2/ 333.

(2) ابن حزم: جمهرة انساب العرب 405-406.

بعدّة قرون - بقلعة (أسطلير)، باسم عين ماء قريبة منها [1]وربّما تغيّر هذا الاسم قبل الفتح العربي بقليل - أي في عهد القوط - الى قلعة (يعقوب) [2] إذ أننا لم نسمع بعد ذلك للقلعة هذا الاسم في مدّة الحكم العربي للأندلس سوى تسميتها بقلعة بني سعيد.

وذكر الملاّحي، أبو القاسم محمد بن عبد الواحد، وهو مؤرخ أندلسي ((إن هذه القلعة تعرف بقلعة يحصب قبيل من اليمن نزل بها عند فتح الأندلس)) [3] وقد بيّن لنا ابن حزم أن ((دار عنس وهم من القبائل اليمانية كانت جهة قلعة يحصب)) [4] ويحصب كلمة مأخوذة أما من الحصب، وهو الحطب بلغة اليمن، وأما من الحصباء وهي الحجارة الصغيرة... وقيل أن يحصب مخلاف في اليمن فيه قصر ريدان، ويزعمون أنه لم يبن قط مثله، وبينه وبين ذمار ثمانية فراسخ [5].

وإذا أمعنا النظر في معاني يحصب لوجدناها تنطبق على هذه القلعة، فالقلعة تقع على تل متوسط الارتفاع، تكثر حوله الشجيرات والأعشاب التي تمد ساكنيها بالحطب، وتتناثر من حولها الحصباء مثل سائر المرتفعات، وأحبّت القبائل اليمانية التي نزلت فيها أن تطلق عليها هذه التسمية بعد أن وجدتها قريبة الشبه من ذلك المخلاف الذي فيه قصر ريدان. ووجدتها بعيدة عن المدن الأندلسية الكبرى فاتخذتها حصوناً تعتصم بها في أثناء الفتن والاضطرابات

(1) ابن سعيد: المغرب 2/ 161 وابن سعيد: رايات المبرزين 5 وابن الخطيب: الإحاطة 1/ 222 والمقري: نفح الطيب 330/2.
(2) ابن الخطيب: الإحاطة 222/1.
(3) المقري: نفح الطيب 2/ 330.
(4) ابن حزم: جمهرة انساب العرب 406.
(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان 500/8.

التي حدثت في عهود الأمراء الأمويين، وتحوّلت هذه الحصون بعد ذلك الى مدن ظلت تحمل أسماء أصحابها، مثل: حصن مراد بين أشبيلية وقرطبة، وقلعة خولان بين الجزيرة الخضراء وأشبيلية، وقلعة يحصب (بني سعيد) في غرناطة.

والقلعة اليوم تدعى (القلعة الملكية) بلدة متوسطة، ومركز إداري في محافظة جيان، وتقع على بعد 52 كم شمال غربي غرناطة، وكما يتبيّن من آثارها قائمة على تل متوسط الارتفاع 900م، وهي حصينة الموقع، ولكنها ليست كما قال ابن فضل الله العمري بأنها ((حصن خيّم على الغيوم، وتختّم بالنجوم، ونافح الرياح، وصافح بكفه الثريا راحاً براح)) [1] وهذه مبالغات أديب لم ير القلعة بعينه، وإنما رأى أن ميلاد هذا الشاعر الكبير ونشأته في قلعة يستتبع بالضرورة أن تكون قلعة حصينة أو منيعة.

وقال أبو جعفر بن سعيد في وصف هذه القلعة: ((قلعة قريبة من غرناطة، عقاب الأندلس الآخذ بأزرار السماء عن غرر المجد والسناء، وهي رباط جهاد، وحصن أعيان وأمجاد، وفيها أنشد:

إلى القلعةِ الغرّاء يهفو بيَ ... كأنّ فؤادي طائر زمّ عن وكرِ

هي الدارُ لا أرضٌ سواها وإنْ ... وحجّبها عني صروفٌ من الدهرِ)) [2]

وكان أول من دخل الأندلس من هذه الأسرة عبد الله بن سعيد بن عمار، وكانت له حظوة لمكانته من اليمانية بقرطبة، وداره بالقرب من قنطرتها كانت

(1) د. حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون الأندلسيون 191-192.
(2) ابن سعيد: المغرب 160/2 وابن سعيد: رايات المبرزين 95.

معروفة، وهو بيت القيادة والوزارة والقضاء والكتابة والعمل [1] وذكر ابن سعيد نقلاً عن ابن حيان في المقتبس: إن عبد الله بن سعيد هذا كان أميراً على اليمانية من جند دمشق في ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وقد وقف مدافعاً في وجه عبد الرحمن الداخل الى الأندلس، ولما تغلب عبد الرحمن ضرب عنقه [2].

ولما انتهت الدولة الأموية في الأندلس عام 422هـ، وانفرط عقدها الى دول صغيرة تدعى بدول الطوائف، استطاع أحد أحفاد عبد الله هذا، وهو خلف بن سعيد أن يستبد بالقلعة ويستقل بها [3] ولكننا لا نعلم كيف استطاع أن يحتفظ باستقلاله في عصر يغلب عليه الصراع والتنافس بين هذه الدول من أجل توسيع رقعة كل دولة على حساب الدول الأخرى، ولابد أن يكون خلف بن سعيد قد انضوى تحت حكم ملوك غرناطة من بني زيري، فأعطوه شبه استقلال في قلعته، وقد مالوا في أواخر أيامهم الى الدعة، وترك مقاليد الحكم بيد وزرائهم من اليهود.

وترتبط الأهمية السياسية لبني سعيد بذكر عبد الملك بن سعيد بن خلف الذي جعله المرابطون وزيراً ومدبراً لدولتهم في غرناطة من قبل واليهم في الأندلس يحيى بن غانية، وعندما اختلت أوضاع المرابطين في الأندلس، وظهرت بوادر الضعف والانحلال في دولتهم شجّع ذلك على ظهور حركات التمرد والثورة منها: ثورة ابن قسي في غرب الأندلس، وثورة ابن حمدين في

(1) ابن سعيد: المغرب 161/2 وابن سعيد: رايات المبرزين 95 وابن الخطيب: الإحاطة 222/1 والمقري: نفح الطيب 330/2.
(2) ابن سعيد: المغرب 161/2 والمقري: نفح الطيب 330/2.
(3) ابن سعيد: المغرب 161/2 وابن سعيد: رايات المبرزين 95.

قرطبة، وثورة ابن أضحى في غرناطة، وثورة ابن مردنيش في شرق الأندلس لم يستطع القائد ابن غانية أن يرأب الصدع الذي حدث في أركان دولة المرابطين على الرغم مما أبداه من بسالة منقطعة النظير، فقد كانت الظروف السياسية أقوى منه، حيث جاز الموحدون الى الأندلس واستولوا على قرطبة في حزيران عام 543هـ / 1148م، ثم تقدموا بسرعة الى غرناطة فحاصروها، وامتنع ابن غانية ولكنه أخيراً سقط وهو يقاتل الموحدين في شعبان من العام نفسه.

بادر عبد الملك بن سعيد بالفرار من غرناطة الى قلعته وثار بها، وامتنع من الرضوخ لسلطان الموحدين، ولكن سلطان الموحدين كان أقوى من أن يقف عبد الملك وقلعته في وجوههم، فنزل من قلعته لعبد المؤمن ملك الموحدين، وخطب له فيها، وقد سجنه عبد المؤمن في مراكش، ثم سرّحه وأجل قدره عنده [1].

فقال أبو جعفر في أبيه وقد سجنه عبد المؤمن:

مولايَ إنْ يحبسْكَ خيرُ خليفةٍ فبذاكَ فخرُكَ واعتلاء الشانِ

فالجَفنُ يحبسُ نورهُ من غبطةٍ والمُرهفاتُ تُصانُ في الأجفانِ [2]

وكتب اليه قائلاً: ((مولاي غيرك يُعزّى بما لم يزل يجري على الكرام. ويذكر تأنيساً له في الوحشة بما يطرأ من الكسوف والخسوف على الشمس المنيرة والبدر التمام:

(1) ابن سعيد: المغرب 161/2 وابن سعيد: رايات المبرزين 95 والمقري نفح الطيب 336/2-337.

(2) المقري: نفح الطيب 189/4-190.

وأنــتَ تُعلّــمُ النــاسَ التعــزّي وخـوضَ المـوتِ فـي الحـربِ السّـجالِ

وقد كان مولاي أنشدني لعلي بن الجهم قائلاً: إنّ أحداً لم يسلّ نفسه عمّا ناله من السجن مثله:

قالوا سُجنتَ فقلتُ ليسَ بضائرٍ سـجني وأيُّ مهنّـدٍ لا يُغمـدُ [2]

مـاذا تفيـدك مـن العلـم وصـدركَ ينبوعـه، وبخـاطركَ لا يـزال غروبـه وطلوعه، وإنما هي عادة تبعناها أدباً، وقضينا بها ما في النفس من الإعلام بالتوجّع والتفجّع إرباً، ولعلّ الله تعالى يتبع هذه التسلية بتهنئة، ويعقب بالنعمة هذه المرزئة)) [3]

ولمّا اجتمع وجه أبي جعفر بوجه أبيه، وقد أمر الخليفة عبد المؤمن بتسريحه من السجن، وإعادته الى ما كان عليه من مكانة مرموقة، ومنزلة عالية، جعل يحمد الله تعالى جهراً، فأنشد فيه قائلاً:

طلعتَ علينا كالغزالةِ بالضّحى وعـزّكَ طمّـاحٌ ووجهُـكَ مُشـرقُ

فغفـراً لـذنبِ الـدّهرِ أجمـع أنّـه أتـى اليـوم مـن حُسـناهُ مـا هـو أليـقُ

فاهتزّ أبوه من شدّة الطّرب وقال له: واللهِ إنّكَ لتملأ الدّلوَ الى عقد الكرب [4]

## 3- ولادته ونشأته:

(1) المتنبي: ديوانه 268
(2) علي بن الجهم: ديوانه41.
(3) المقري: نفح الطيب 189/4.
(4) المصدر نفسه 190/4-191.

لم تذكر لنا المصادر التاريخية شيئاً عن ولادته، أو عن طفولته المبكرة على الرغم من أن بعض المصادر تتعرّض الى ذكر مولد أخيه محمد الذي يكبره قليلاً، وهو عام 514هـ [1]لذا فإننا لا نستطيع أن نذهب بتاريخ ولادته الى أبعد من عام 520هـ، وقد ولد في قلعة بني سعيد، قلعة آبائه وأجداده، وفيها قضى طفولته وصباه.

## 4- ثقافته:

نشأ أبو جعفر احمد بن سعيد في بيئة تعتمد على الثقافة الأدبية في تكوينها الاجتماعي، وبين أسرة عريقة في قول المنظوم والمنثور، وقال فيه الملاحي: ((وكان من جلة الطلبة ونبهائهم، وله حظ بارع من الأدب، وكتابة مفيدة، وشعر مدوّن. وقال فيه أبو الحسن علي بن سعيد في كتابه المسمى (الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد): نشأ محباً للأدب، حافظاً للشعر وذاكراً لنظم الشريف الرضي، ومهيار، وابن خفاجة، وابن الزقاق، فرقت طباعه، وكثر اختراعه وإبداعه)) [2]

وهذا يعني أن ثقافته الأدبية كانت متنوعة بين أدباء المشرق والأندلس، فاطلع على دواوينهم جميعاً، وحفظ الشيء الكثير عنها، وكانت له أول الأمر محاولات شعرية، يخفق فيها مرة وينجح أخرى، وكان يلقى من والده عبد الملك الإعجاب والتقدير لمحاولاته تلك، وكانت المجالس الأدبية التي يحضرها كبار الأدباء وبعض الفتية المتأدبين مدرسة مفتوحة لصقل المواهب الشعرية، يتحاور فيها الأدباء شعراً أو نثراً، وتقام فيما بينهم مساجلات شعرية تمد الفتيان بزاد وفير من العلم والأدب.

---

(1) المصدر نفسه 335/2.
(2) ابن الخطيب: الإحاطة 222/1-223.

ومن ابرز هذه المجالس الأدبية مجلس عمه أبي بكر محمد بن سعيد بن خلف في غرناطة، وكان هذا المجلس منتدى يتردد عليه الشعراء من أمثال أبي بكر المخزومي، وابن قزمان، والكتندي، والشاعرات من أمثال نزهون القلاعية، وحمدة وزينب بنتي زياد المؤدب، ينشد فيه الشعر، وتتغنى به القيان على نغمات العود، وتنتشر فيه روائح الند والطيب، وقد دعا ذلك أبا بكر المخزومي الى أن يقول:

دار السعيدي ذي أم دار ... ما تشتهي النفس فيها حاضر دانِ

سقت أباريقها للندّ سحب ندى ... تحدو برعدٍ لأوتارٍ وألحانِ [1]

وكان عمه أبو بكر شاعراً محبّاً للشعراء، وله أبيات تدل على شاعريته [2]وكان أخوه محمد بن عبد الملك شاعراً ومحاطاً بالشعراء [3] وقد تولّى القلعة بعد وفاة أبيه عام 562 هـ وكان رجلاً جليلاً بعيد الصيت، عالي الذكر، رفيع الهمّة، وكان مقدّماً عند يحيى بن غانية في مدّة المرابطين، وفي مدّة الموحدين ولاّه بنو عبد المؤمن أعمالاً كثيرة بمراكش وسلا وأشبيلية وغرناطة، وعلى يديه بني الجامع الأعظم بأشبيلية، وقد اتصلت ولايته على غرناطة، فكان من شيوخها وأعيانها، وقد مدحه الرّصافي شاعر الأندلس:

إنّ الكرامَ بني سعيدٍ كلّما ... ورثوا العُلا والمجدَ أوحدَ أوحدا

قسَموا المعالي بالسّواءِ وفضّلوا ... يها عمادَهمُ الكبيرَ محمّدا [4]

(1) المصدر نفسه 433/1

(2) ابن سعيد: المرقصات والمطربات 88 وابن الأبار: المقتضب 164 وابن الخطيب: الإحاطة 432/1-433.

(3) المقري: نفح الطيب 335/2-336.

(4) ابن سعيد: المغرب 162/2.

وكان محمد على ما يظهر يتصف بالتواضع والواقعية مع علو منزلته الرفيعة، ولاسيما حينما بالغ الرصافي في مدحه بقصيدته التي مطلعها:

لمحلّكَ الترفيعُ والتّعظيمُ ولوَجهكَ التّقديسُ والتّكريمُ

فحلف محمد بن سعيد أن لا يسمعها، وقال: عليّ جائزتك، ولكن طباعي لا تحمل مثل هذا، فقال الرصافي: ومن مثلك يستحق هذا في الوقت غيرك ؟ فقال له: دعني من خداعك، أنا وما أعلمه من نفسي.[1]

ولم تفض المصادر في ترجمة أخيه عبد الرحمن بن عبد الملك، وقد ورد ذكره مع ترجمة أبي جعفر، ومحاولته الاتفاق معه على أن يثورا في القلعة باسم ابن مردنيش، ومساعدة قريبهما حاتم بن سعيد، ولمّا فشلت المحاولة فرّ عبد الرحمن الى الأمير محمد بن سعد بن مردنيش بمرسية، فأصبح وزيراً عنده، وقد قدّمه على وزرائه لأمانته، وكان مشهوراً بالفروسية والشجاعة والرأي، وقد تزوّج ابنة مردنيش، فسعد طالعه، وقدمه على شرق الأندلس. [2]

وهذا يعني أن أسرته كانت على قدر كبير من العلم والأدب جعلها تتبوّأ مكانة بارزة في المجتمع الأندلسي، ولابد لمثله أن يتأثر بأسرته وشغفها بالعلم والأدب، فيتوقد ذهنه، ويفيض خاطره، ومنذ صباه نظم الشعر، وسلك دروبه، ونهج فيه منهجاً رقيقاً على طريقة المحدثين.

## 5 - تأليف كتاب المغرب في حلى المغرب:

(1) المقري: نفح الطيب 335/2-336.
(2) ابن الخطيب: الإحاطة 432/1.

كانت وفادة الأديب أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الحجاري (من وادي الحجارة) في مدّة المرابطين على عبد الملك بن سعيد حدثاً كبيراً في تاريخ الأسرة، فلم يفكر أحد من بني سعيد في يؤلف كتاباً يذكر فيه علوم الأندلسيين وآدابهم مع أنهم أهل أدب وعناية بالعلم، إلا أن مجيء هذا الأديب الى رحابهم وهو يحمل زاداً وفيراً من تلك العلوم والآداب أتاح لعبد الملك الفرصة لكي يقترح عليه أن يدوّن شيئاً من علمه ومحفوظاته في كتاب يختلف ترتيبه عما ألفوه في ترتيب الكتب التي سبقته كالذخيرة والقلائد، فوضعه على هيئة جدول جغرافي أدبي تاريخي، قسّم الأندلس الى كور وبلدان، يتناول في كل كورة أو بلدة تقسيماتها الجغرافية، وتاريخها مع ذكر أدبائها، وشيئاً عن حياتهم ونماذج من شعرهم. فكان كتابه (المسهب في فضائل المغرب) وقيل (المسهب في غرائب المغرب) [1] وقد افتتح خطبته بقوله: الحمد لله الذي جعل العباد من البلاد بمنزلة الأرواح من الأجساد، والأسياف من الأغماد.

ومهما يكن ذلك فإن هذا الكتاب قد استودعه الحجاري صاحبه عبد الملك بن سعيد ومضى الى سبيل حاله، فأخذ عبد الملك ومن بعده أبناؤه أحمد - وهو شاعرنا - ومحمد، ثم موسى بن محمد، وابنه علي بن موسى، ينظرون في ذلك الكتاب فراقهم نظامه، وهو في الحقيقة نظام مبتكر وطريف، ولكنهم وجدوا الحجاري قد نسي الكثير، وأهمل بعض الشعراء، فمضوا يكملون ما فاته، ويصوّبون ما فيه، ويزيدون عليه، ويحوّرون مادته كيفما أرادوا، حتى أصبح (المُسهب) على أيديهم شيئاً آخر يختلف في تفاصيله عما وضعه مؤلفه، ولكنهم احتفظوا - على أي حال - بهيكله العام الجغرافي، وانصبت إضافاتهم

(1) ينظر: ابن سعيد: المغرب 161/2 والمقري: نفح الطيب 183/3.

وتعديلاتهم ضمن إطار هذا الهيكل، وعند الإطلاع على مقدمة كتاب (المُغرب) يتضح لنا أن عبد الملك بن سعيد هو البادئ بهذا التغيير أو التحوير، وإن أولاده من بعده قد جروا على سنة أبيهم، فأصبح (المُسهب) على أيديهم كتاباً آخر يدعى (المُغرب في حُلى المَغرب) [1]

وعلى هذا يعدّ الكتاب مفخرة للأندلس عامة ولبني سعيد خاصة، إذ ((يكفي الأندلس في هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص في 115 سنة آخرها سنة 645هـ، وقد احتوى على جميع ما يذاكر به، ويحاضر بحُلاه من فنون الأدب المختارة، على جهد الطاقة في شرق وغرب)) [2]وقد عدها الدكتور علي حمودة منقبة جليلة انفردت بها الأسرة بقوله: ((وهذه منقبة جليلة لعلها لم تكن لأية أسرة من الأسر الإسلامية بالرغم من أن تاريخ الإسلام قد شاهد مئات من مثل هذه الأسرة التي جعل أفرادها العظام الانقطاع لخدمة العلم ديدناً لهم)) [3]

## 6- شاعريته وآراؤه النقدية:

انتشرت دعوة الموحدين في المغرب الأقصى بعد أن ألقت اليهم مراكش بمقاليدها أواخر عام 541هـ، ودخلت في ملكهم أجزاء كثيرة من الأندلس كالجزيرة الخضراء، ورندة، ثم أشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، فما لبث أن قدم وفد الأندلس على عبد المؤمن وهو بمراكش للبيعة عام 542هـ، فجمع جيشاً عظيماً للعبور الى الأندلس لتمهيدها، ومدافعة العدو عنها، فعبر بهم البحر

(1) ينظر: د. احمد حاجم الربيعي: منهج البحث الأدبي 37.
(2) المقري: نفح الطيب 183/3.
(3) د. علي حموده: تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي 12

ونزل الجبل المعروف بجبل طارق فسمّاه (جبل الفتح) وأقام بها أشهراً وابتنى في مدينة وصفها الحميري بقوله: ((ما جاءت مدينة تفوق المدن حسناً وحصانة، لا يدخل اليها إلاّ من موضع واحد، قد حصن بسور منيع من البنيان الرفيع، وسميت بمدينة الفتح، وقالت الشعراء فيها، ثم جاز اليها في سنة 556هـ، وورد الوفود عليه هناك، فتلقاهم بالتكرمة)) [1]

وهنا يحسن أن نورد ما ذكره المراكشي في وصف احتفاله ببيعة أهل الأندلس له، وهو بجبل الفتح قائلاً: ((ووفد عليه في هذا الموضع وجوه الأندلس للبيعة، كأهل مالقة، وغرناطة، ورندة، وقرطبة، وأشبيلية، وما الى هذه البلاد، وكان له بهذا الجبل يوم عظيم، اجتمع فيه من وجوه البلاد ورؤسائها وأعيانها وملوكها من العدوة والأندلس ما لم يجتمع لملك قبله، واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداء، ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك، إنما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم)) [2]

ومما يرويه ابن الخطيب عن وفد غرناطة - وفيهم أبو جعفر - على الخليفة عبد المؤمن قائلاً: ((ولما وفدت الأندلس على صاحب أمر الموحدين في ذلك الأوان، وهو محتل بجبل الفتح، واحتفل شعراؤها في القصائد، وخطباؤها في الخطب بين يديه، كان في وفد غرناطة أبو جعفر وهو (حدث السن) في جملة أبيه وأخوته وقومه، فدخل معهم على الخليفة، وأنشده قصيدة منها قوله:

تكلّمْ فقد أصغى إلى قولكَ الدّهرُ وما لسواكَ اليوم نهيٌ ولا أمرُ

قال: فلما أتمها أثنى عليه الخليفة، وقال لعبد الملك أبيه: أيهما خير في بنيك؟ فقال يا سيدنا: محمد دخل اليكم مع أبطال الأندلس وقوادها، وهذا مع

(1) الحميري: الروض المِعطار 121.
(2) المراكشي: المعجب 213

الشعر، فانظروا ما يجب أن يكون خيراً عندي. فقال له الخليفة: كل ميسّر لما خلق له، وإن كان الإنسان متقدماً في صناعة فلا يؤسف عليه، إنما يؤسف على متأخر القدر محروم الحظ)) [1]

وردت القصيدة أيضاً في المغرب لابن سعيد [2] وقد انفردت رواية ابن الخطيب بالإشارة الى وفادة أبي جعفر على عبد المؤمن وهو (حدث السن) ومن المعروف أن جواز عبد المؤمن الى جبل الفتح كان عام 556هـ كما ورد في بعض المصادر [3] وكانت وفاة أبي جعفر بن سعيد عام 559هـ [4]فهل يعني أن حياة الشاعر الحافلة بالأحداث بين وفادته ووفاته لا تزيد عن ثلاث سنوات ؟ أم عبارة (حدث السن) قد وقعت سهواً في رواية ابن الخطيب، ولم نجدها في رواية ابن سعيد، وهو الأقرب الى هذه الأسرة، لأن الشاعر كان عم والده. ولعل ابن الخطيب قد خلط بين الحدثين، جواز وفد الأندلس لمبايعة الخليفة عبد المؤمن عام 542هـ، وجواز عبد المؤمن الى جبل الفتح واستدعاء الوفود والشعراء اليه عام 556هـ، أما إذا أخذنا برواية المراكشي الذي يقرر فيها إن عبور عبد المؤمن الى الأندلس ونزوله بجبل الفتح كان في سنة 538هـ [5] فإن عبارة (حدث السن) تصدق عليه، لأن أبا جعفر على هذه الرواية ابن الثامنة عشر.

(1) ابن الخطيب: الإحاطة 223/1-224
(2) ابن سعيد: المغرب 165/2.
(3) ابن الخطيب: الإحاطة 223/1والحميري: الروض المِعطار 121 والناصري: الاستقصا163/1.
(4) ابن الخطيب: الإحاطة 227/1.
(5) المراكشي: المعجب 226.

وهناك قصيدة أخرى أنشدها الشاعر في مدح عبد المؤمن، وقد ذكر ابن سعيد أنها كانت أول حضور أبي جعفر على عبد المؤمن، فقد كان عبد الملك يذكر ابنه أبا جعفر لعبد المؤمن، وينشده شعره رغبة في تشريفه بالحضور بين يديه، وإنشاده في مجلسه ن فهل كانت هذه القصيدة إحدى القصائد التي أنشدت مع وفد الأندلس على مراكش لبيعة عبد المؤمن سنة 542هـ وهل كان شاعرنا مع الوفد الذي حضر البيعة ؟ وعند ذلك تنطبق عليه عبارة (حدث السن) ومطلع هذه القصيدة هو:

عليكَ أحالني داعي النجاحِ ونحوكَ حثني هادي الفلاحِ [1]

ومهما يكن فإن أبا جعفر كان شاعراً منذ صباه، وقد شهد له بذلك ابن سعيد على صدق شاعريته بقوله: ((لا أعلم في بني سعيد أشعر منه، بل لا أعلم في بلده)) [2].

وليس أدل على شاعريته، وثقافته الأدبية المتنوعة قدرته على إبداء بعض الأحكام النقدية لشعر بعض الشعراء، وتلمّس البديع في شعرهم، فقد انتقد بعض القصائد التي أنشدها الشعراء أمام الخليفة عبد المؤمن في جبل الفتح. ومن ذلك قصيدة الشاعر أبي القاسم أخيل بن إدريس الرندي في مدح الخليفة ومطلعها:

ما الفخرُ إلاّ فخر عبد المؤمنِ أثنى عليهِ كلُّ عبدٍ مؤمنِ

قال أبو جعفر: دعاه التجنيس الى الضعف والخروج عن المقصود، والأولى أن لو قال: (شاد الخلافة وهو أول مبتني) [3] .

(1) ابن سعيد: المغرب 164/2والمقري: نفح الطيب 181/4.
(2) المقري: نفح الطيب 179/4.
(3) المصدر نفسه 202/4.

واجتمع أبو جعفر بن سعيد بالشاعر أبي العباس احمد بن سيّد الأشبيلي المشهور باللص في وفد أشبيلية على الخليفة عبد المؤمن، واستنشده فجعل ينشده ما استجفاه لخروجه عن حلاوة منزع أبي جعفر الى أن وصل في إنشاده الى قوله:

وما أفنى السؤالُ لكم نوالاً ولكن جودَكم أفنى السؤالا

فقال له أبو جعفر: لا جعلك الله في حلّ من نفسكَ، يكون في شعرك مثل هذا، والله لو لم يكن لك غير هذا البيت لكنت به أشعر أهل الأندلس [1].

ولمّا أنشد أبو عبد الله محمد غالب الرصافي شاعر الأندلس في أوانه، قصيدته على الخليفة عبد المؤمن في جبل الفتح ومطلعها:

لو اقتبستَ الهدى من جانبِ أُعطيتَ ما شئتَ من هديٍ ومن نورِ

قال عنه أبو جعفر: إنه ابن رومي الأندلس، لما رآه من حسن اختراعه وتوليده [2]

ومن نقده للشعر وقد ((مرّ عليه شعر حمدة بنت زياد المؤدب، ولها من الشعر قولها:

ولمّا أبى الواشونَ إلاّ فراقنا وما لهمُ عندي وعندكَ من ثارِ

فقال عنها أبو جعفر: هي خنساء المغرب)) [3]

(1) المصدر نفسه 202/4.
(2) ابن سعيد: المغرب 243/2.
(3) المصدر نفسه 145/2-146.

ولا نعلم هل هو أول من أطلق هذه الألقاب (ابن رومي الأندلس، خنساء المغرب) على الشعراء المجيدين ؟ أم أن هذه الألقاب كانت متداولة وشائعة بين الناس. ومن المرجح أنها أطلقت عليهم أول مرّة، وذلك لأنها لو كانت متداولة لما ذكرها هنا، أو لأضاف الى عبارته لفظة (حقاً) لنتبيّن منها أنها كانت شائعة ومعروفة.

## 7- وزارته:

لم يكن أبو جعفر مهيّئاً لتحمّل المسؤولية، أو التفكير في القدرة على تصريف أمورها، وهو الى جانب كونه شاعراً رقيقاً، وأديباً ناثراً صاحب لهو وحياة وفلسفة تنم عن ذلك ((فقد كانت نظرة هذا الأديب الى الحياة تمثل وتركز الآراء الأساسية لطبقته المترفة فيها، فقد كان مغرماً بالحياة التي كانت ميسّرة له، ولا يريد أن يشغل باله بأية مسؤولية فيها، ولا حتى التفكير في أمورها، وإنما هي حياة لهو وخمر وملاح وصيد وقنص ومطارحة للأشعار في مجالس الأنس الحمراء)) [1]

ولمّا استقل أبوه عبد الملك بقلعته في الفترة بين سقوط المرابطين وظهور الموحدين اتخذه وزيراً، واستنابه في أموره فلم يصبر على ذلك، وطلب إعفاءه فلم يعفه، فعاتبه أبوه قائلاً: أفي مثل هذا الوقت الشديد تركن الى الراحة ؟ فكتب اليه أبو جعفر:

مـــولايَ فـــي أيّ وقـــتٍ أنـــالُ فـــي العـــيشِ راحـــهْ
إنْ لـــم أنلهـــا وعمـــري مـــا إنْ أنـــار صـــباحهْ

(1) د.حكمة علي الأوسي: الأدب الأندلسي في عصر الموحدين 199.

الى أن يقول:

أُنســـــي أتـــــى مســـــتغيثاً  فـــــاترك فُـــــديتَ ســـــراحهْ

فلما قرأ أبوه الأبيات قال: لا ينفع الله بما لا يكون مركباً في الطبع، مائلة له النفس. ثم وقّع على ظهر ورقته (قد تركنا سراح أنسك، وألحقنا يومك بأمسك) [1]

(1)

ونراه في أبيات أخرى يعتذر من والده، فيحاول أن يخفف من حدّة عتابه، ويؤكد له أنه لم يترك الوزارة رغبة في التخلص من نفوذه، أو غدراً به، وإن كان هذا الطلب ذنباً اقترفه ويطلب العفو لأجله، وإن دهره هو الذي سنّ له تلك الطريقة في الحياة، فيلقي بذلك تبعاته على الدهر قائلا:

تـركتكمُ لا كارهـاً فـي جنـابكم  ولكـنْ أبـى ردّي إلـى بـابكم دهـري

الى أن يقول:

وإنّـكَ إنْ فكّـرتَ فيمـا أتيتـهُ  تيقنتَ أن التركَ لم يكُ عن غدرِ [2]

وفي أبياته هذه يرسم أبو جعفر لنفسه طريقاً واضحاً لا يستطيع أن يحيد عنه على الرغم من تلوّم اللائمين، وإنه كما عبّر هو عن نفسه (لجاجة نفس سرعان ما تنقضي حتى يعود كما تعود الطير الى وكرها).

كان أبو جعفر شاعراً موهوباً لم يخلق للوظيفة أو الإدارة أو الحكم، يسعى وراء ملذاته دون قيد، ويستجيب لرغباته دون حرج، ويكره أن يرى

(1) المقري: نفح الطيب 180/4.
(2) المصدر نفسه 185/4.

نفسه أسيراً في وظيفته، ولكن قد تجني على المرء مواهبه، فلم يكد يستقر الأمر للموحدين، حتى ولّى الخليفة عبد المؤمن ابنه السيد أبا سعيد عثمان على غرناطة وأعمالها، ((وكان من نبهاء أولاده ونجبائهم، وذوي الصرامة منهم، وكان محباً في الآداب، مؤثراً لأهلها، يهتز للشعر ويثيب عليه)) [1] فطلب كاتباً من أهلها - وكانت الكتابة في تلك العصور تعني الوزارة - فوصف له فضل أبي جعفر، وحسبه وأدبه وظرفه فولاّه الوزارة، فضاق بالمنصب وطلب أن يعفيه، فلم يقبل منه ذلك، ولم يستطع أبو جعفر أن يكيّف نفسه مع هذا المنصب، أو أن يغيّر من طريقته العابثة، وكره أن يكون كاتباً لمن يراه دونه علماً وأدباً.

كان الفرق ظاهراً بين أمير قادم من الصحراء، حاد الطبع، بدوي الشمائل، وبين شاعر رقيق الحواشي، لطيف المعشر، ظريف النكتة، يهوى الفتنة، ويعشق الجمال، فبدأ يظهر في شعره ما كان مكتوماً في صدره، فقد ((شرب يوماً مع خواصه، وخرج ثاني يوم الى الصيد، وكان اليوم ذا غيم وبرد، ولمّا اشتد البرد مالوا الى خيمة ناطور، وجعلوا يصطلون ويشربون على ما اصطادوا، فحملت أبا جعفر بقية السكر على أن قال يصف يومه، ويستطرد بما في نفسه:

ويومٍ تجلّى الأفقُ فيه بعنبرٍ ... من الغيمِ لُذنا فيهِ باللهوِ والقنص

الى أن قال هذين البيتين:

فقل لحريصٍ أنْ يراني مقيّداً ... بخدمتهِ لا يجعل البازَ في القفص

وما كنتُ طوعَ نفسي فهل أرى ... مطيعاً لمنْ عن شأوِ فخري قد نقص

(1) المراكشي: المعجب 224.

فكان في أصحابه من حفظ البيتين، ووشي بهما للسيد، فعزله أسوأ عزل)) [1]

وهو بهذا لم يأسف على ما بدر منه، أو ما قد يترتب عليه بعد العزل عن منصبه، وهو الذي كان يتغنى بحريته ويحرص عليها، وهو الذي يرى الهدف الأول والأخير من الحياة التمتع بملذاتها وأطايبها، وليكن بعد ذلك ما يكون، ولا ينبغي له ولمن يعرفه أن يأسف على ما يناله جرّاء ذلك، وهو الذي قرر ذلك في أحرج لحظات حياته.

## 8 - مجالس الأنس والأدب:

تصوّر المراسلات بين الأصحاب والإخوان جانباً مهماً من العلاقات الإجتماعية بين الأدباء، وتكشف عن الروابط الودية القائمة على الاحترام المتبادل، ولا يتم مثل هذا الاتفاق ما لم تتوحد الأهواء، وتتقارب الميول، وتتضح الأفكار، ويتماثل الإحساس بالانتماء الى جماعة موسومة بصفة معينة مثل جماعة أهل الفضل والأدب.

وكان الاجتماع بين الإخوان يتم بإرسال ((خطابات أدبية شعراً أم نثراً أو كليهما معاً، تتميّز بأسلوب أدبي رفيع، موجهة الى ذوي السلطة والنفوذ، أوالى أصحاب الشاعر واخوانه، وهي تختلف باختلاف المرتبة المرسل اليها...)) [2] تدعو الصديق وتحثه على الحضور الى مجلس، وتصوّر له هذا المجلس وما يحويه من مسرّات وملذات تنسيه متاعب الحياة وتكاليفها، ويكون الرد على مثل هذه الدعوات بالقبول أو الاعتذار عن تلبية مثل هذه الدعوة، ويكتب الرد برسالة أدبية رقيقة.

(1) المقري: نفح الطيب 4/180-181.
(2) د. احمد حاجم الربيعي: القصص القرآني في الشعر الأندلسي 237.

ومن الأمور التي ساعدت على الاهتمام بعقد هذه المجالس، والحث على الدعوة اليها الطبيعة الأندلسية الجميلة، وما تمتاز به من سحر وصفاء، وما تنعم به من من خضرة دائمة، وظلال وارفة، ومياه جارية، لذا ((كانت هذه الطبيعة المصدر الأساس الذي استلهم منه الشعراء أفكارهم، والفيض الزاخر الذي تنبع منه موضوعاتهم، والسحر المؤثر الذي يشدهم الى التغني بها، والتمتع بقضاء أوقات سرورهم ولهوهم بين مغانيها)) [1]

وقد تميّزت أشبيلية عن غيرها من المدن الأندلسية بـ ((اعتدال الهواء، وحسن المباني، وتزيين الخارج والداخل، ونهرها الأعظم الذي يصعد المد في اثنين وسبعين ميلاً ثم يحسر، وزيادته على الأنهار كون ضفتيه مطرزتين بالمنازه والبساتين والكروم والأنشام، متصل ذلك اتصالاً لا يوجد على غيره)) [2]

وقد يجتمع الندماء بعد الغروب أو بالليل في الحانات وفي بعض الحدائق والبساتين، وفي قوارب على ضفاف نهر الوادي الكبير، وهو على حد قول الشقندي ((كان نهر الوادي الكبير أبيض الصفحة دائماً من أشرعة القوارب التي لا تحصى، مملوءة بأصحاب السمر، وقلما كانت هذه الاجتماعات للسمر فحسب بل غالباً ما تتحوّل الى ندوات أدبية وشعرية))[3].

وربما كان في أحد الزوارق الشيخ الشلوبيني أستاذ النحو مع تلاميذه، وفي زورق ثان غلام جميل يلقي بشباكه في الماء ليصطاد أسماكاً تقبل على

(1) د. احمد حاجم الربيعي: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي 364.
(2) المقري: نفح الطيب 212/3.
(3) كراتشكوفسكي: الشعر العربي في الأندلس 21.

شبكته دون أن تفطن الى المقلاة التي تنتظرها [1] وفي زورق ثالث تمضي جماعة من الفتيان مبتهجين تظللهم أشرعته كما تظلل أجنحة الطائر أفراخه، وهم يشربون ويطربون على أنغام العود. وفي زورق رابع جميل تضيئه الشموع يمر على جماعة من زجالي أشبيلية بين ضفاف طريانة أو تحت برج الذهب يتسامرون ويتناشدون الأشعار،... والنساء الجميلات جالسات في الشناشيل، وهنّ يعزفن الأنغام الموسيقية العذبة، وصور الشموع في الماء تبدو وكأنها غارقة فيه. [2]

ومن الأمور الأخرى التي دعت الى هذه المجالس طبيعة الفرد الأشبيلي وما يتسم به من ميل الى المرح والفكاهة والطرب والسرور، وقد وصفهم الشقندي بقوله: ((ويضرب بأهل أشبيلية المثل في الخلاعة، وانتهاز فرص الزمان الساعة بعد الساعة)) [3] ثم أردف قائلاً: ((وأهله أخف الناس أرواحاً، وأطبعهم نوادر، وأحملهم لمزاج بأقبح ما يكون من السب، قد مرنوا على ذلك فصار لهم ديدناً، حتى صار عندهم من لا يبتذل فيه ولا يتلاعن ممقوتاً ثقيلاً)) [4]

ولم تكن تلك المجالس مجرّد اجتماعات للشرب، وإنما يتخللها أوقات لتقارض الشعر وارتجاله، وإقامة مناظرات ومساجلات من الشعر بين المتنادمين، يقطعها شدو جارية بين حين وآخر وهي تعزف على العود، وهكذا ينقضي المجلس بين الشرب والغناء وتقارض الشعر وحديث السمر، وينقضي

(1) د. حكمة الأوسي: الأدب الأندلسي 161.
(2) غارسيا غومس: الشعر الأندلسي 68.
(3) المقري: نفح الطيب 151/1.
(4) المصدر نفسه 199/4، 212/3.

الليل هزيعاً بعد هزيع حتى يطلع الفجر، فكانت ليالي الأندلس صاحية لا تعرف النوم، حتى شكا بعض من وفد على الأندلس من المشارقة عدم استطاعتهم النوم.

والمساجلات فن من الفنون الأدبية، أو هي مباراة شعرية تجري بين شاعرين أو أكثر، وتقوم على مبدأي الارتجال والتحدّي، لإثبات الذات والقدرة على الإبداع، وتبدأ بأن ينشد شاعر شطراً أو بيتاً أو مقطوعة أمام شاعر آخر، ويطلب منه أن يباريه بقوله (أجز) فيرتجل الثاني شطراً أو بيتاً أو مقطوعة تقابل سابقتها، فتتفق معها أو تختلف في المعنى، ولكنها تتوافق معها في الوزن والقافية والروي.

وهذا الفن على ما أظن لم يتعرض له أحد بالبحث والدراسة في الشعر الأندلسي، وقد ازدهر في عصر المرابطين والموحدين، وذلك لازدهار غرض الاخوانيات، وانعقاد مجالس الأنس والأدب، وما فيها من دعوات شعرية أو نثرية الى متنزهات مقامة في أحضان الطبيعة الأندلسية، فتثير قرائحهم، وتحرّك مشاعرهم، وتحفز قدراتهم على خوض تلك المباراة الشعرية.

ومن النزهات النهرية التي تقام خلالها مجالس الأنس والأدب، وما يدور فيها من منادمات ومساجلات شعرية، رحلة أبي جعفر بن سعيد مع أصحاب والده الى أشبيلية - وليس مع والده كما يذكر الدكتور حكمة الأوسي [1] - فافتتن الشاعر بواديها، واعتكف على الخلاعة فيها، متنقلاً بين بساتينه ومنازهه... فمرّ ليلة بطريانة، فمال نحو منزّه فيه طرب سمعه، فاستوقفه هنالك، وهو في الزورق متكئ وأصحابه وأصحاب أبيه مظهرون انحطاطهم

(1) د. حكمة الأوسي: الأدب الأندلسي 162.

عنه في المرتبة، فأخرج أحد السفهاء رأسه من البيوت المطلة على النهر صوتاً قبيحا بغاية ما استطاع، فرفع أبو جعفر رأسه، ولم يعتد مثل ذلك في بلده... وسأل بعد ذلك عن رب المنزّه فسمي له، وأخبروه أن الشاعر ابن سيد المعروف باللص كان حاضراً، وأنه أملى على السفيه ما قال وما صنع. فكتب اليه أبو جعفر:

يا سميّ وإنْ أفادَ اشتراك غير ما يرتضيهِ فضل وودُّ
أ كذا يُزدرى الخليلُ بأفقٍ أنتَ فيهِ ولم يكن منكَ ردُّ [1]

فكتب ابن سيد رسالة يعتذر اليه من هذه الوشاية التي نقلها له أحد المعينين عليها، فاتسم بأسقط خلتين النذالة والوشاية، ثم ختمها ((ولولا ما أخشى التثقيل، وما أتوقع من الخجل إذا ما التقى الوجهان، لأتيت حتى أبلغت فيه بالاعتذار بالمشافهة مالا يسع القرطاس، ولكني متكل على حلم سيدي وإغضائه، متوسل في الغفران بعلائه، وكتب تحتها شعراً:

لكم آلُ عمّارٍ بيوت رفيعة تشيّدُ من كسبِ الثنا بدعائمِ
إذا نحنُ أذنبنا رجونا ثوابكم ولم نقتنع بالعفوِ دون المكارمِ [2]

فرد عليه أبو جعفر بقبول اعتذاره. ثم دعاه الى مجلسه في منزل مطل على (شنتبوس) وعندما قرأ ابن سيد الرقعة ركب زورقاً، وصنع أبياتاً وهو في طرقه اليه، وعند وصوله أنشده إياها:

ركبتُ إليكَ النهرَ يا بحرُ فالقنا بما يتلقى جوده كلّ قادمِ [1]

(1) المقري: نفح الطيب 193/4.
(2) المصدر نفسه 193/4-194.

فامتلأ أبو جعفر سروراً، وخلع عليه ما كان عنده هنالك، فأطرق لينظم شيئاً في شكره، فأقسم عليه أن لا يشغل خاطره في ذلك الوقت عن الارتياح، وحث أكؤس الراح، فأقبلوا على شأنهم حتى قاربت الشمس الغروب، وأرسلت الى صفحة النهر أشعتها الذهبية، وهي تتلوى مع انسياب الماء، فتشكو الينا الزوال والذبول. فأثار منظر الشمس والنهر نفسية أبي جعفر، وهيج أشجانه، وحرّك قريحته، فقال:

أنظـر إلـى الشـمسِ قـد ألـ صـقتْ علـى الأرضِ خـدّا

فقـال ابـن سـيد: هـي المـرآةُ مـن بعـدها الأفـقُ يصـدا [2]

ولمّا توارت الشمس خلف الأفق، وأسدل الليل ثوبه، تلألأت مصابيح منارة شنتبوس، فعكست أنوارها على صفحة النهر، وكشفت السماء عن نجومها، فبدت على النهر وشاحاً مطرّزاً بالزهر، منقطاً بالكواكب، نظر أبو جعفر وابن سيد الى التناسق الجميل فوق صفحة الماء فأحبا أن يصفا المنظر.

قال ابن سيد:

اخلـعْ علـى النهـرِ ثـوبَ الـ كـرى فـذلكَ واجـبْ

قال أبو جعفر:

وانظـر إلـى السُـرجِ فيـهِ كـالزّهرِ ذات الـذوائبْ

فقبّل ابن سيد رأسه فقال: ما تركت بعد هذا مقالاً لقائل... فقال أبو جعفر: والله ما تعديت ما جال الساعة في خاطري، فإني ذكرت أيام الفتنة وما

(1) المصدر نفسه 195/4.
(2) المصدر نفسه 197/4-198.

كابدنا فيها من المحن، وإنا لم نزل في مصادمة ومقارعة، ثم رأيت ما نحن الآن فيه بهذه الدولة السعيدة التي أمنت وسكنت، فشكرت الله تعالى، ودعوت بدوامها. (1)

وبعد أن تكشفت خيوط الفجر، وأسفر الصباح عن وجهه السعيد، أخذت نسائمه الباردة تداعب أجفان الشاعرين، لتزيل عنهما النعاس، وتفتح قريحتيهما الشعرية في وصف الفجر.

**قال أبو جعفر:**

نثـــرَ الكـــلُّ عقـــودهْ ونضـــا الليـــلُ بـــرودهْ

فقال ابن سيد:

وبـــدا الصـــبحُ بوجـــهٍ مطلـــع فينـــا ســـعودهْ

فقال أبو جعفر:

ثـــم صـــافحهُ علـــى رغـــ ـمِ النـــوى وافـــرك نهـــودهْ

فقال ابن سيد:

واجعـــل الشـــكرَ علـــى مـــا نلتـــهُ منـــهُ جحـــودهْ

فقال أبو جعفر: يا أبا العباس إنك أغرت على التهامي في هذا البيت في قوله (وشكر أيادي الغانيات جحودها) قال: فلمَ لقبتُ باللص ؟ لولا هذا وأمثاله ما كان ذلك. (2)

(1) المصدر نفسه 199/4.
(2) المصدر نفسه 199/4.

ولعل ما يشغل بال أبي جعفر عن هذا العيش الرغيد إنما هو خلاصة لفكر الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها الشاعر، وكانت حياته ونظرته تعبيراً عنها، وقد صوّر لنا ما تريده هذه الطبقة من آمال في العيش المنعم بالاستقرار والسكينة والأمن، والتمتع بمباهج الحياة، ومطارحة الأشعار. وهي على حد تعبير ابن سعيد: ((لم يكن لأفراد هذه الطبقة من مشاغل سوى كل ما يرضي الشباب، ويمتع بمجالس الآداب)) [1]

ولم يكن لأفراد هذه الجماعة مكاناً محدداً تلجأ اليه، وإنما هي كالنحلة تنتقل من مكان الى آخر طلباً للمكان الذي تكثر فيه الأزهار، وهاهي عصبة الأنس تجتمع بوادي آش، وتحتفل بمجلسها، وتطيب لذتها، ولم تكتمل مسرّتها إلاّ بحضور أبي جعفر اليها، فكتب له الشاعر ابن نزار:

يا خيرَ من يُدعى لكأسٍ دائرٍ ووجـــوهِ أقمـــارٍ وروضٍ ناضـــرِ

إنّا حضرنا في الندّي عصابة معشـــوقةٍ مـــن نـــاظم أو نـــاثرِ

فقال أبو جعفر: فجعلت وصولي جواب ما نظم ونثر، وألفيت الحالة يقصر عن خبرها الخبر، فانغمست في النعيم انغماس عرف الزهر في النسيم، ومرّ لنا يوم غض الدهر عنه جفنه حتى حسبناه عنواناً لما وعد الله تعالى في الجنة)) [2]

ولا تقل غرناطة عن أشبيلية جمالاً من حيث الطبيعة الخلابة، والمناظر الجذابة، والأنهار والأزهار والخضرة والغدران ((ولنسيم نجدها وبهجة منظر حورها في القلوب والأبصار، واستلطاف يروق الطباع، ويحدث فيها ما شاءه

(1) ابن سعيد: المغرب 428/1 وابن سعيد: اختصار القدح 73

(2) المقري: نفح الطيب 495/3-496.

الإحسان من الاختراع والابتداع، ولم تخل من أشراف أماثل، وعلماء أكابر، وشعراء أفاضل)) [1]

ولم تتأثر غرناطة كثيراً بالفتن الداخلية التي حدثت في الأندلس بعد ضعف المرابطين، ومحاولات أمرائها الاستقلال في ولاياتهم، فبقيت لفترة طويلة تحت حكم المرابطين الضعيف، وتمتعت باستقلال نسبي لم تحصل عليه مدينة أخرى من المدن الأندلسية، وكانت هذه الأمور تكفي لأن تشيع فيها مجالس الأنس والأدب، وأن ترتاد مثل هذه المجالس شاعرات مثل نزهون القلاعية، وحمدة وأختها زينب أبنتا زياد، وحفصة الركونية.

كانت مجالس أبي جعفر في غرناطة حافلة بالحيوية والتحدي، ففي جنة بزاوية غرناطة اجتمع الشاعر أبو الحسن بن نزار وأبو جعفر بن سعيد وأبو بكر محمد الكتندي، وقد أحدق بهما شجر النارنج والليمون وغير ذلك من الأشجار، وفيها صهريج ماء، وعليه أنبوب ماء به صورة جارية راقصة بسيوف، وطيفور رخام يصنع في أنبوبة الماء صورة خباء، فتساجل الثلاثة في أوصاف هذه الجارية [2]

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور، ومحمد بن عبد الرحمن الكتندي الشاعر وغيرهما من الفضلاء والرؤساء، فرأوا أن يخرجوا يوماً الى (نجد) أو (حور مؤمل) وهما متنزهان من أجمل متنزهات غرناطة، ليتفرّجوا على مناظرها، ويصقلوا خواطرهم بالتطلع في ظاهرها، فقالوا ما لنا غنى عن أبي جعفر بن سعيد، فكتبوا له شعراً:

(1) المصدر نفسه 218/3.
(2) المصدر نفسه 497/3-498.

بعثنا إلى ربّ السماحةِ والمجدِ ومن حاله في ملّةِ الظرفِ من ندّ
ليسعدنا عند الصبيحةِ في غدٍ لنسعى إلى الحور المؤمّلِ أو نجدِ
نسرّحُ منّا أنفساً من شجونها ثوتْ في شجونٍ هنّ شرّ من اللّحدِ

فكان جواب أبي جعفر لهم:

فسمعاً وطوعاً للذي قد أشرتمُ بهِ لا أرى عنه مدى الدهرِ من بُدّ [1]

تلك هي حال الشاعر أبي جعفر بين أصحابه إذ يجد في هذه المجالس مجالاً للترويح عن النفس وشحذ للقريحة الأدبية التي تتفتح في مثل هذه الأجواء المشحونة بروح التنافس والسجال.

## 9- أبو جعفر وحفصة الركونية:

تشير كثير من الدلائل الى أن المرأة لم تكن مجرد النصف الثاني للرجل فحسب، بل تعدّت الى أن تصبح هدفاً سامياً ومثلاً عالياً يسعى الرجل للوصول اليه، فقد كشفت لنا كتب الأدب ودواوين الشعر أن المرأة في نظر أغلب الشعراء وفي تصويرهم إمرأة كاملة وناضجة، تتصف بصفات أنثوية تفوق الخيال، وتتعدى حدود التصوّر، إنها المرأة المثال.

إنّ العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة هي علاقة الحب، ولكن هذه العلاقة لم تصل الدراسات بعد الى معرفة ماهيتها، أو بالأحرى ماهية الحب، أو تحديد كنهه، فإبن حزم يعرّفه بقوله: ((معنى جليل يدق عن الوصف، فلا تدرك حقيقته إلاّ بالمعاناة)) [2] ثم يعقب بقوله ((والحب اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة

(1) المصدر نفسه 3/513-514.
(2) ابن حزم: طوق الحمامة 5.

في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع)) [1] وهو بهذا يحدد معنى المشاكلة بين أجزاء النفوس، ويوضح بأن المخلوقات يمكن أن تتصل أو تنفصل تبعاً لهذه المشابهة والتباين.

وعندما نعود الى التراث العربي نجد أن المرأة يحق لها أن تختار حبيبها، وأن تعطيه ما ترغب أو أن تمنع، إلاّ أنها لا تستطيع أن تختار زوجاً لها ممن تحب، مسايرة للأعراف الاجتماعية السائدة، وقد تتزوج هذه المرأة الرجل الذي لا تحب، وتكون مطيعة له حسب الأعراف الزوجية، ولكنها تبقى وفية لمن أحبت من قبل، ولنا من عفراء بنت مالك وغيرها من النساء خير مثال. وتشير كثير من الأخبار والأشعار ((أن المرأة هي التي تهب للرجل الحياة الرغد وتسلبها، وهي التي تأمر وتنهى في دنياه)) [2].

وفي الأندلس أوقف المقري في كتابه (نفح الطيب) فصلاً كاملاً على شاعرات الأندلس، إلاّ أنّ ما ذكره عنهن كان مقتضباً، وما استشهد من شعرهنّ كان قليلاً. وكان من جملة ما ذكره شاعرات من غرناطة يحتلن المقام الأول بين شاعرات الأندلس، منهن: حمدة بنت زياد المؤدب، ونزهون القلاعية، والشاعرة حفصة الركونية محبوبة الشاعر أبي جعفر بن سعيد.

وحفصة بنت الحاج الركونية شاعرة أديبة جمعت بين الجمال والحسب والمال، ورقة النظم والنثر، ولكنها لم تحظ في دراساتنا الحاضرة من عناية مثلما حظيت بها ولاّدة محبوبة ابن زيدون، إلاّ أنها لم تكن أقل شأناً منها، فقد

(1) المصدر نفسه 6.
(2) ناجية مراني: الحب بين تراثين 64.

طبقت شهرتها الآفاق بما تنشد من شعر وتجهر بمكنون الحب، وتتردد على مجالس الأدب حتى غطّت شهرتها على جميع شاعرات الأندلس.

ولا نستطيع أن نوافق على ما ذهب اليه الدكتور الطاهر احمد مكي حين أعطى للشاعرة دوراً سياسياً هاماً تجاوز نظم الشعر الى المشاركة في تدبير ثورة أوشكت أن تعصف بسلطان الموحدين في الأندلس [1] وذلك لسببين، الأول منهما: إن سلطان الموحدين كان كبيراً بحيث أن دولتهم كانت تمتد من طرابلس الغرب الى السوس الأقصى وأكثر بلاد الأندلس، والأندلس بحد ذاتها ولاية كبيرة قسّمها الخليفة عبد المؤمن الى ولايات صغيرة جعل عليها أولاده وأبناء عمومته، فجعل على ولاية غرناطة مثلاً ابنه السيد أبا سعيد عثمان. ولأن هذه الدولة - وهي مثل كل دولة تكون في أول أمرها قوية ومتماسكة - لا تستطيع أية قوة سياسية أن تعصف بسلطانها مرّة واحدة، فهل من المعقول أن حفصة ومن معها من أفراد قلائل تستطيع أن تزعزع أركان تلك الدولة، وتعصف بسلطانها في الأندلس.

والسبب الثاني: إنّ هذا الرأي ليس جديداً علينا، فقد أطلق على ابن زيدون من قبل حين جعلوه محرّضاً محبوبته ولاّدة بنت المستكفي بالله (414 - 416هـ) الخليفة الأموي المخلوع للقيام بتدبير ثورة تقوّض نظام بني جهور في قرطبة [2] وهو أمر أيضاً لا أساس له من الصحة.

ولم تتأتَّ شهرة حفصة من الثراء الواسع الذي كانت تتمتع به، ولا الى الحسب الرفيع الذي تنتسب اليه، ولا الى الجمال الموفور الذي كانت تتزيّن به -

(1) د. الطاهر احمد مكي: دراسات أندلسية 90.
(2) د.جودة الركابي: في الأدب الأندلسي 176.

وإن كانت هناك كثير من النساء يتمتعن بمثل ما تتمتع به حفصة - وإنما يعود ذلك حسب تقدير المؤرخين ورجال الأدب الى أنها امرأة ذات كلمة نافذة، وشخصية قوية تستطيع أن تقف إزاء كبار الشعراء، ورجال السياسة، وذوي النفوذ، وإننا معها إزاء امرأة متحررة تعبّر عن حريتها هذه بشعرها الذي تتمثل فيه الجرأة والصراحة.

ولم يستطع مؤرخو الأدب أن يتجاوزوها، أو أن يمرّوا عليها مروراً عابراً مثل بقية الشاعرات، وإنما كانوا يتحدثون عنها حديثاً يتراوح بين الإيجاز والإطناب، فكتب عنها ابن الخطيب قائلاً: ((أديبة زمانها وشاعرة أوانها... فريدة الزمان في الحسن، والظرف، والأدب، واللوذعية)) [1] وقال عنها ابن دحية:((رخيمة الشعر، رقيقة النظم والنثر)) [2] ووصفها كل من ياقوت الحموي والمقري بكونها ((الشاعرة الأديبة المشهورة بالحسب والأدب والجمال والمال)) [3].

ولم يقدم المؤرخون الجوانب الأخرى من حياتها بل ولا حتى القليل عن طفولتها وصباها، وكل ما نعرف عنها أنها من بشرات غرناطة - وهي منطقة جبلية تقع بين غرناطة والمرية - ويبدو لنا من نسبها الركوني أنها ليست من غرناطة أصلاً، وإنما جاء والدها أو أحد أجدادها من قرية صغيرة تدعى ركونة الى غرناطة وأستقرّ بها.

(1) ابن الخطيب: الإحاطة 223/1، 499.
(2) ابن دحيه:المطرب 10.
(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 219/10-220 والمقري: نفح الطيب 171/4.

ولا نعلم متى ولدت على وجه الدقة، ولعل أقرب تقدير لا يبعد عن عام 530هـ، وإنها ولدت في البشرات وعاشت في غرناطة، أو أنها ولدت في غرناطة وأمضت فيها طفولتها وصباها، وكانت غرناطة في ذلك الوقت تحت حكم المرابطين... وهي مثل غيرها ذهبت الى المؤدبات في بعض البيوت، أو جاءتها المؤدبات الى البيت، فقد كان من عناية الآباء ببناتهم أن يعيّنوا لهن مؤدبات يعلمنهن أطرافاً من الثقافة الأدبية وعلوم الدين [1]

جاءت حفصة الى الحياة العامة والمرأة الأندلسية كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية في ظل بيئة تختلف اختلافاً واضحاً عن البيئة المشرقية، وقد ساهمت إسهاماً جاداً في جميع نواحي الحياة، وكان إسهامها الفعّال في الأدب دليل على ما تتمتع به هذه المرأة من ذوق رفيع، فزاحمت الرجال، وشغلت المجتمع ((وليس أدل على ذلك أنهن فرضن وجودهن فرضاً على موكب الشعر في الأندلس، فكنّ فيه كأزهار الشقائق بلونها الزاهي الأرجواني، تشرئب متميزة مختالة وسط الأقاح الذي يغطي السهول، ويوشي السفوح مع إطلالة الربيع)) [2]

عاشت حفصة حياتها في غرناطة، وعاصرت فيها كل الشدائد والمحن التي تعاورتها ما بين سقوط دولة المرابطين الى قيام دولة الموحدين عام 549هـ، وما رافقها عادة خلال تلك الأحداث من فقدان الأمن والاستقرار، ولاشك أن تلك الأحداث قد تركت في نفسها - وهي الأديبة الأريبة - رقة في المشاعر، وعمقاً في الإحساس، وجرأة على المواقف. وفي هذه الفترة وعمرها

(1) د. احمد حاجم الربيعي: الغربة والحنين 45.
(2) د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي – موضوعاته وفنونه 117.

يقارب العشرين تلتقي بالشاعر أبي جعفر احمد بن سعيد، ولكننا لا نعلم كيف التقيا ولا أين ؟ وإذا ما علمنا أنه من السهل أن يلتقي شاعر وشاعرة في مجتمع يحب الشعر ويجل الشعراء.

وإذا كان لجمال المرأة أثر كبير في إثارة انتباه الرجل اليها، ومحاولة التقرّب منها، فإن الجمال بعامة وجمال حفصة بخاصة لم يكن كافياً لأن يجذب اليه قلوب الرجال، ومنهم قلب أبي جعفر، لاشك أن هناك في غرناطة كثير من النساء الجميلات اللائي وصفهن ابن الخطيب: بأنهن على الرغم من اتصافهن بالحسن، وخفة الحركات، ونبل الكلام، يعنين بزينتهن عناية بالغة تصل حد الإسراف، ويتفنن في لبس المصبغات والمذهبات من الملابس، ويتماجنّ في أشكال الحلي [1] ولكن حفصة - الى جانب جمالها - تمتع بمزايا عقلية وعاطفية فائقة جذبت اليها انتباه الشاعر، فوجد فيها شاعرة ظريفة، وامرأة جريئة، ووجدت فيه شاعراً رقيقاً، ورجلاً متحرراً، فمدّت له حبل الوصال دون تردد.

لا نعلم ماذا كان يجري بين شاعر وشاعرة قد ترعرع بينهما حب شديد تجاوز تقاليد العصر، وتمرّد على مقاييسه ومعاييره، وهذا أمر طبيعي، إلاّ مما كان يصل الينا من أشعار متناثرة هنا وهناك، وهي تومئ الى العلاقة التي تربط بين قلبيهما برباط الحب، وكانت حفصة تتحمّل فيه مسؤوليتها كامرأة عاشقة في ذلك العصر، وقد عبّرت عن علاقتها تلك أصدق تعبير كما لم تعبّر عنها أية شاعرة أخرى، وكان شعرها فوّاحاً عبقاً كأريج الزهر تبعثه الى حبيبها زائراً عنها، فيغمره برائحته العطرة حتى يطغى عليها قائلة:

(1) ابن الخطيب: الإحاطة 1/144-145وابن الخطيب: اللمحة البدرية 29.

سارَ شعري لكَ عنّي زائراً فأعرْ سمعَ المعالي شِنفهُ
وكذاكَ الروضُ إذ لم يستطعْ زورةً أرسلَ عنهُ عَرفهُ

فكتب اليها أبو جعفر:

قد أتانا منكِ شعر مثلما أطلعَ الأفقُ لنا أنجمهُ
وفم فاه به قد أقسمتْ شفتي بالله أن تلثمهُ [1]

ويبدو أنّ شفة أبي جعفر قد أبرّت بقسمها إثر لقاء حافل بينهما، إذ لم يستطع أن يعبّر عنه لأسباب كثيرة. وتفقد حفصة اتزانها العاطفي، وتصف ثنايا الحبيب التي طالما انتظرتها حتى رشفت ريقها، فكانت أرق من الخمر، وهي تقول ذلك عن تجربة:

ثنائي على تلكَ الثنايا لأنني أقولُ على علمٍ وأنطقُ عن خُبرِ
وأنصفها لا أكذبُ اللهَ أنني رشفتُ بها ريقاً ألذّ من الخمرِ [2]

وهذه حالة فريدة عند المرأة، فأي شاعرة أخرى في المشرق لا تستطيع أن تبوح بحبها للرجل، وتتغزّل فيه، وتسترجع معه لحظات وصله، وتثير فيه رغبته، لقد عرف المجتمع العربي المرأة مطلوبة من الرجل لا طالبة، وموصوفة لا واصفة، وتلك حالة طرأت على المجتمع الأندلسي حينذاك.

وتصل العلاقة بين حفصة وحبيبها الى درجة كبيرة من الهيام والشوق واللهفة والحسرة، وفي حبه تفقد حفصة تدلل المرأة ومنعتها، فالمرأة عموماً مهما بلغت بها درجات الشوق وشقّت عليها نوازع الحنين فإنه ينبغي لها أن

(1) ابن سعيد: المغرب 166/2.
(2) ابن دحية: المطرب 10.

تخفي وجدها، وأن تتظاهر بكونها معشوقة لا عاشقة، ولكن حفصة لا تأبه بذلك، وتسترسل بشعرها، وتضع حبيبها بين اختيارين لا ثالث لهما من غير تلميح أو إشارة تدعوه لزيارتها، فإن لم يستطع زارته قائلة:

أزورك أم تزور فإنّ قلبي ... إلى ما ملتمُ أبداً يميلُ

فثغري مورد عذب زلال ... وفرعُ ذؤابتي ظلّ ظليلُ [1]

وتصل الأبيات الى أبي جعفر وينظر ما فيها من رغبة وتلهف واستعجال مثير، ولكن طبيعته الهادئة تدفعه لأن يرد عليها رداً لطيفاً رقيقاً ومنطقياً:

أجلّكمُ ما دام بي نهضة ... عن أنْ تزوروا إنْ وجدتُ السبيل

ما الروضُ زوّاراً ولكنما ... يزورهُ هبُّ النسيمِ العليل [2]

ولم تستطع حفصة أن تكبح جماح عواطفها عند حد معيّن، أو أن تقنع نفسها بهذا الجواب الهادئ الرزين، فتقرر الذهاب بنفسها اليه مقتحمة خلوته مع ابن عمه حاتم وبعض أقاربه، وهم في لهو وطرب، فتطرق الباب بجرأة، وتدفع لجاريته بطاقة كتبت فيها:

زائر قد أتى بجيدِ غزالٍ ... طامع من محبّهِ بالوصالِ

أتراكم بإذنكم مسعفيهِ ... أم لكم شاغل من الأشغالِ [3]

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 225/10 وابن سعيد: المغرب 166/2 والمقري: نفح الطيب 4/ 178.
(2) ابن سعيد: المغرب 166/2.
(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 226/10 وابن سعيد: المغرب 139/2 وابن الخطيب: الإحاطة 501/1 والمقري: نفح الطيب 4/ 178.

فلمّا قرأ أبو جعفر الرقعة قرأها بقلبه قبل عينيه، وتأملها بعاطفته قبل عقله، وعلم أنها من حفصة فتغمره الغبطة. وفي رواية ياقوت الحموي وابن الخطيب: بادر أبو جعفر الى الباب فلم يجدها وفي رواية ابن سعيد: بادر الى الباب فقابلها بما يقابل به من يشفع له حسنه وآدابه والغرام به حسب تعبيره، وتفضله بالزيارة دون طلب أو إذن مسبق.

وعند التمييز بين الروايتين نجد الرواية الأولى أقرب الى الحقيقة، وأكثر انسجاماً مع الواقع، وذلك لأسباب نذكرها:

1 - لم تعلم حفصة أن حبيبها أبا جعفر كان مع أصحابه في لهو وطرب، وكانت تأمل أن تجده لوحده، وإذا ما تفضلت بزيارته فسوف يكون موقفها حرجاً، لذلك دفعت رقعة لجاريته وتراجعت ولم تنتظر جواب تلك الرقعة.

2 - أحست حفصة أنها أطلقت لعاطفتها العنان، وسمحت لنفسها بزيارته دون دعوة مسبقة، وإنما هي دعت نفسها بنفسها، فإن ذلك يقلل من كبريائها، ولابد أن تعزز من موقفها ولو في اللحظة الأخيرة، فآثرت التراجع والانسحاب.

3 - ومما يؤيد تراجعها وعدم مقابلة أبي جعفر لها، كتبت اليه رقعة، وبعد قراءته رقعتها راح يطلب اليها الوصال، فلو كان قد التقى بها لأنتفى ذلك الطلب. وهذه الرقعة هي:

أيّ شغلٍ عن المحبّ يعوقُ  يا صباحاً قد آنَ منه الشروقُ

صِلْ وواصلْ فأنتَ أشهى إلينا  مـن لذيـذِ المنـى فكـم ذا نشـوقُ [1]

والتقى العاشقان، وخرجا الى مروج غرناطة وبساتينها، ودخلا الى أحد منازهها الجميلة وهو (حور مؤمّل) وباتا فيه ((على ما يبيت به الروض والنسيم من طيب النفحة ونضارة النعيم)) [2] وهو تعبير ظريف يبيّن العلاقة الحميمة بين الروض (حفصة) وبين النسيم (أبي جعفر) وما جرى بينهما من عناق وضم، ولمّا بزغ الفجر وحان وقت الانفصال قال:

رعـى اللهُ ليلاً لـم يـرعْ بمـذمّمٍ  عشـيّة وارانـا بحـورِ مؤمّـلِ [3]

وأبو جعفر في تصويره هذا يعتمد على الطبيعة مثل شعراء الأندلس الآخرين، فلقاؤه وحفصة بين أحضان الطبيعة صفق له النهر ارتياحاً، وغرّد له الطير سروراً، والروض هو الآخر مسرور بهذا اللقاء.

ولكن هذا اللقاء وما تحقق فيه من ودّ وصفاء كان يفتقر الى عنصر أساس وهو (الأمان)

الذي لم يستطع العشاق - مهما حاولوا - أن يبلغوه، فالمحب خائف في كل حين، وهو خوف طبيعي ناجم عن وجود الرقباء والوشاة والنمامين. وتشعر حفصة بالارتياب بعد هذا اللقاء، وترى الروض على العكس من حبيبها لم يسر بوصلهما، بل أبدى البغض والغيرة، ولم يصفّق النهر ارتياحاً بقربهما، ولم

(1) ابن الخطيب: الإحاطة 1/ 501.
(2) المقري: نفح الطيب 218/3.
(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 221/10-222وابن سعيد: رايات المبرزين 92-93.
وابن سعيد: المرقصات والمطربات 88 وابن الخطيب: الإحاطة 499/1.
والمقري: نفح الطيب 218/3.

يغرّد الطير فرحاً بلمّ الشمل، بل إن هذا الأفق قد نشر نجومه لتكون رقيبة على الحبيبين. قالت:

لعَمركَ ما سُرّ الرياضُ بوصلنا ولكنّــهُ أبــدى لنــا الغــلّ والحســدْ
ولا صفّق النهرُ ارتياحاً بقربنا ولا غــرّد القُمــريّ إلاّ لمــا وجَــدْ
فما خلتُ هذا الأفقَ أبدى نجومَهُ لأمرٍ سوى كيما يكون لنا رصَدْ [1]

وقد صبّ الدكتور محمد مجيد السعيد اللوم كله على حفصة وحدها حين وصفها بأنها إنسانة أنانية ذات رؤية قاتمة مشبعة بالشك والريبة والحسد، وعلى العكس من حبيبها الذي لا يرى سوى الغبطة والبشاشة والانفتاح، ولا يحس في الوجود سوى الخير والمحبة [2]

وهذا ما لا نرتضيه عنها، فالشاعرة محقة في ذلك الارتياب، وهي تنطلق من مبدأ الإحساس بالخطر قبل وقوعه، ذلك الخطر الذي يحدق بحبها وحبيبها من كل جانب، فهي تشعر بالوشاة والرقباء من حولها، ولديها القناعة بأن الحب مهما كبر وازداد زادت معه المخاطر، وهي في هذا على العكس من حبيبها أبي جعفر، فهي تشك بحاسة الأنثى وترتاب، وهو يرى بجرأة الرجل ويتجاهل تلك الخاطر، لذلك كان ردّها مشوباً بالمرارة والأسى.

وهكذا فإنّ السعادة التي تنعّم بها الحبيبان لم تدم صافية دون تكدير أو تنغيص، فقد اقتحم عالم حبهما الجميل - دون تردد - أمير غرناطة السيد أبو

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 222/10 وابن سعيد: رايات المبرزين 93 وابن سعيد: المرقصات والمطربات 88 وابن الخطيب: الإحاطة 500/1. والمقري: نفح الطيب 177/4، 218/3.
(2) د. محمد مجيد السعيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين 181.

سعيد عثمان بن الخليفة عبد المؤمن ومعه سلطان الحاكم وبطشه، يدفعه التنافس مع ابن سعيد للاستيلاء على قلبها، والانفراد بحبها، ولابد أن حفصة قد عانت كثيراً من محاولات الأمير لجعلها أسيرة هواه وحده، وهي الإنسانة الرقيقة التي تعشق الحرية وتحب الحياة، وفي حياتها حبيب تهواه ولا تستطيع أن تستبدله بآخر، ولم تكن تخشى ما تخشاه على نفسها من ذلك الأمير بقدر ما تخشاه على حبيبها، فقد كانت تعرف جيداً ما كان بينه وبين الأمير من حقد واحتقار كل واحد منهما للآخر، وما يتمتع به الأمير من حرية التصرّف بحياة الناس، وله القدرة على البطش به، والتخلص منه إن أراد ذلك بسهولة ويسر.

وحاولت كثيراً أن تفهم حبيبها على أن يبتعد عنها ولو لفترة تقارب الشهرين، وهي فترة قصيرة إذا ما قيست بفترات الحياة المقبلة المتفتحة لهما، ولكنها ليست بالقليلة لما تصبو اليه نفسيهما من ود وشوق ولقاء. وخلال هذه الفترة تستطيع حفصة أن تفهم نفسية الأمير جيداً، وتطلع على ما يبيّته لهما، وهي في طلبها قد تجاوزت عواطفها، وحاولت كبت مشاعرها، وهي تعلم أن البعد لن ينسيه حبها. قالت:

سلام يُفتّحُ عن زهرهِ الـ ... كمامُ ويُنطقُ ورقَ الغصونْ
على نازحٍ قد ثوى في الحَشا ... وإنْ كان تُحرمُ منهُ الجفونْ
فلا تحسبوا البُعد يُنسيكمُ ... فذلك واللهِ ما لا يكونْ [1]

وتنتاب حفصة نزعة الحنين الى الحبيب، وهي التي أبعدته عنها، وصرفت ناظريها عن رؤيته، ووضعت الحدود بينهما، وهي تحاول إنجاح

(1) ابن سعيد: المغرب 139/2.

خطتها للتخلص من الخطر المحدق بهما، ولكن نزعة الحنين كانت أقوى منها، فلم تستطع أن تخمد أوارها، إذ تراه في كل شيء يتراءى أمامها، فهو نجم في السماء، يتلألأ لينير لها الدرب:

ولو لم تكنْ نجماً لما كان ... وقد غبتَ عنه مظلماً بعد نورهِ

سلام على تلك المحاسنِ من ... تناءت بنُعماهُ وطيبِ سرورهِ [1]

ويسطع البرق على حفصة في هدأة من الليل، فيحرّك فيها ذكرياتها، ويزيد من خفقات قلبها، ويدفعها لذرف مدامعها، ((والبرق أو البارق علامة ضوئية تحدث بعد تداخل قطع الغيوم مع بعضها، وهي عند المحبين شيء آخر، فهي تثير في قلوبهم الرغبة والشوق والحنين)) [2] فتطلب من الآخرين أن يسألوا البرق إن كان باقياً على عهده في تذكير المحبين:

سلوا البارق الخفّاق والليلُ ... أظلّ بأحبابي يذكّرني وَهْنا

لعَمري لقد أهدى لقلبي خفقةً ... وأمطرَ عن منهلّ عارضهِ الجفنا [3]

وتطول فترة الشهرين على أبي جعفر، وإذا به يعلق بجارية سوداء سعت اليه من بعض القصور، فأقام معها أياماً ولياليَ بظاهر غرناطة في ظل ممدود، وبلغ حفصة ما بين حبيبها وتلك الجارية، فكتبت اليه:

يا أظرفَ الناسِ قبل حالٍ ... أوقعهُ وسطهُ القدرْ

عشقتَ سوداءَ مثل ليلٍ ... بدائع الحُسنِ قد سترْ

(1) المصدر نفسه 139/2.
(2) د. احمد حاجم الربيعي: الغربة والحنين 130.
(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 223/10وابن سعيد: المغرب 139/2. والوهن الوقت من من الليل نحو ثلثه.

لا يظهرُ البشرُ في دجاها كـــلاّ ولا يُبصـــرُ الخَفَـــرْ
بـاللهِ قـل لـي وأنـتَ أدرى بكـلّ مَـن هـامَ فـي الصّـورْ
مَنْ ذا الذي حبّ قبلُ روضاً لا نَـورَ فيـهِ ولا زهَـرْ [1]

فكتب اليها معتذراً:

عدمتُ صُبحي فاسودّ عشقي وانعكـسَ الفكـرُ والنظـرْ
إنْ لـم تلـح يـا نعيمَ روحـي فكيـف لا تُفسـد الفكـرْ [2]

ويبدو من هذا أن للجواري السود نصيباً مهماً من غاية العشاق، وكنّ هدفاً سهلاً لما يرمون اليه، ولعل ميل العشاق الى تلك الجواري السود يدخل من باب إغاضة المحبوب، فهو يكيدها بميله الى ما هو أقل منها جمالاً، وقد شاركه في هذا الميل شاعر يسبقه بزمن بعيد هو ابن زيدون، وقد مال الى جارية سوداء من جواري محبوبته ولاّدة، فكتبت اليه:

لو كنتَ تُنصفُ في الهوى ما لـم تهـوَ جـاريتي ولـم تتخيّـرِ
وتركتَ غصناً مثمراً بجمالهِ وجنحـتَ للغصـنِ الـذي لـم يُثمـرِ
ولقد علمتَ بأنني بدرُ السما لكـنْ ولعـتُ لشقوتي بالمشتري [3]

وعند الموازنة بين عتب حفصة على أبي جعفر، وبين عتب ولادة على ابن زيدون يتبيّن لنا أن الفرق كبير بينهما، فعتب حفصة كله رقة ودلال، وذلك

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 223/10- 224وابن الخطيب: الإحاطة 500/1.
(2) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 224/10 وابن الخطيب: الإحاطة 500/1 -501.
(3) ابن بسام: الذخيرة ق1 م1 /431 وابن شاكر: فوات الوفيات 251/4 والسيوطي: نزهة الجلساء 102.

لأن حفصة تحب أبا جعفر حقاً، وتصويرها للجارية السوداء فيه ظرف ورقة، فهي ظاهراً لا تسيء اليها، فالجارية صفحة سوداء تختفي عليها بدائع الجمال، وملامح البشر، وعلامات الخفر والحياء، فكيف إذاً يختار روضاً خالياً من الورد والزهر ؟ وعتب ولادة في تعالٍ وخشونة، وذلك لأن ولادة كانت تحب نفسها أولاً، وهي فيما يبدو متكبرة، وتتصرّف كأميرة حين تعاتب حبيبها ابن زيدون، فقد ترك غصناً مثمراً بالجمال، ومال الى الغصن الذابل الذي لم يثمر.

وتشعر حفصة بالغيرة على حبيبها حتى تبلغ غيرتها بحيث تحس أن الزمان والمكان يشاركانها حبيبها، فهي تخاف عليه من عينها وقلبها، ومن نفسه وزمانه ومكانه، ولم يكفها أن تخفيه في عيونها الى يوم القيامة:

أغارُ عليكَ من عيني وقلبي ومنكَ ومن زمانكَ والمكانِ

ولو أني جعلتكَ في عيوني الى يومِ القيامةِ ما كفاني [1]

فإخفاء الحبيب في العيون لا يجدي نفعاً في إعطائها الأمان والاستقرار النفسي في عدم مشاركة الآخرين لها فيه. وهذا يدل على أقصى درجات الحب والتولّه عند حفصة، وهو يشبه الى حد ما العشق الصوفي الذي تفنى فيه النفس الإنسانية.

ولمّا طال الافتراق على أبي جعفر، وتمكنت منه الوحشة والسآمة، استبد به الشوق، فكتب اليها دون أن يذكر اسمها وحسبه في ذلك حبه علامة بينهما، فهو يكفيه أنه يخاطب حبيباً لا يعدله حبيب، فقد برّحه الشوق وأضناه الانتظار، وطالت عليه الأيام حتى حسبها الأيام الأخيرة من عمره، فأخذ يستنجزها أن

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 227/10والمقري: نفح الطيب 174/4.

تفي بما وعدت، وأن تترك ما قطعت عليه اليوم لا غداً، وإلاّ فاليأس قد أخذ منه كل مأخذ:

يـــا مَـــنْ أُجانـــب ذكـــرَ اســـ  مـــــــهِ وحســـــــبي علامـــــــهْ
مـــا إنْ أرى الوعـــدَ يُقضـــى  والعمـــــرُ أخشـــى انصـــــرامهْ [1]

ثم وجّه أبياته هذه مع غلامه إليها، وبقي متلهفاً لمعرفة ردّها عليه.

وعندما وصل حفصة كتاب حبيبها قرأته بإمعان، وارتسمت على وجهها الحيرة، كيف يثنيه اليأس عن التصبّر، ويفضح حاله السأم والضجر، ولكن الكتاب أدخل على قلبها الفرحة والغبطة، فأجابت عليه بتدلل وعتاب، وتركت الوعد الذي قطعته، ولم تستطع أن تبوح بذلك، وإنما أشارت الى ذلك إشارة خفية لا يفهمها غيره:

يـــا مـــدّعي فـــي هـــوى الحُســـ  نِ والغـــــــــرام الامامـــــــــهْ
لـــو كنـــتِ تعـــرفُ عـــذري  كففـــــتَ غـــــربَ الملامـــــهْ [2]

ووجهت أبياتها مع رسوله الذي لعنته وسبته زيادة في التمويه، فانصرف بغاية من الخزي، وهو لا يعلم لماذا سبته، ولمّا أطل على أبي جعفر وهو في انتظاره، قال له: ما وراءك ياعصام ؟ قال اقرأ الأبيات تعلم، فلما قرأها قال: ما أسخف عقلك. إنها وعدتني للقبة في جنتي المعروفة بالكمامة. سر بنا، فبادروا للكمامة فما كان قليلاً حتى وصلت اليه، وكان اللقاء على أحسن حال.

(1) المقري: نفح الطيب 173/4.
(2) المصدر نفسه 174/4.

يظهر مما تقدم ((أن طبيعة المرأة العاشقة تتمثل في حفصة أكثر مما تتمثل فيها طبيعة المرأة الشاعرة، بل لعلنا نقول أن مظهر العشق والشعر قد اجتمعا وتصارعا وتساجلا في نفس حفصة، فانتصر مظهر العاشقين وتصرّفهم على رهافة الشعراء وتفننهم)) [1]

## 10 - محنته ومقتله :

لم تدم العلاقة الحميمة بين أبي جعفر بن سعيد وحفصة الركونية طويلاً، فقد تدخل السيد أبو سعيد عثمان بن الخليفة عبد المؤمن في صراع مع أبي جعفر على حب حفصة والتنافس في هواها ((فكان كلّ منهما على مثل الرضف للآخر)) [2]

ووجد أبو جعفر في وزارته عند السيد شيئاً لم يحتمله فضاق بالمنصب، وكره أن يكون كاتباً عند من ينافسه في حبيبته، ويستغل نفوذه وسلطته لترجيح كفته لديها على كفة وزيره، ووجد الحساد والوشاة طريقهم للإيقاع بالوزير وتنحيته عن منصبه، وكانت حفصة تعلم بما يبيته الوشاة ضده، فيوغرون صدر الأمير عليه، فتحاول أن تبث فيه روح الأمل والتفاؤل قائلة:

رأستَ فما زالَ العُداةُ بظلمهم وعلمهم النامي يقولون ما رأسْ ؟

وهل منكر إنْ سادَ أهلَ زمانهِ جموح الى العليا حرون عن الدنسْ [3]

(1) د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي 222.
(2) ابن الخطيب: الإحاطة 224/1، والرضف: الحجارة المحماة، أي كل منهما شديد الحقد على الآخر.
(3) ياقوت الحموي: معجم الأدباء 221/10 والمقري: نفح الطيب 176/4.

وباءت محاولات حفصة بالفشل في إصلاح الأمر بين الأمير ووزيره، ومما زاد الطين بلة أن الوشاة قد نقلوا الى السيد بيتين من الشعر قالها وهو يصف يومه بعد أن خرج مع أصحابه الى الصيد:

فقل لحريصٍ أن يراني مقيّداً بخدمتهِ لا يجعل الباز في القفصْ

وما كنتُ طوعَ نفسي فهل أرى مطيعاً لمن عن شأو فخري قد نقصْ

فعزله السيد أبو سعيد عن وزارته، ولم يأسف لهذا، مادام قد تخلص من مسؤولية الالتزام والتقيّد لمن يراه أقل شأناً منه.

وتقع حفصة في حيرة من أمرها بين أمير يلاحقها بكلّ ما عنده من قدرة، ويحيطها بكلّ ما عنده من سلطة، وبين وزير معزول، وشاعر رقيق الحواشي تحبه حباً صادقاً، وتسعد معه، وتحقق فيه أنوثتها. وقد راودتها فكرة لعلها تخفف ما كان من ضغينة بين الأمير ووزيره، وهي - كما مرّ - أن تبتعد عن حبيبها مدّة شهرين، لا تراه فيها ولا يراها، ثم حاولت أن تترضى الأمير، فتكتب اليه شاعرة على أن تتجافاه عاشقة، فكتبت اليه تهنئه في يوم عيد، فتناديه يا ابن الخليفة، وتومئ اليه بكلام خفي يفهم على أكثر من معنى، وهي التي اعتادت أن تكون صريحة، لا تلمح في شعرها، بأن العيد قد أتاه، وأتى معه من يهواه منيباً راضياً، ليعيد اليه ما مضى من لذاته، ولكن أين هي من هذا الهوى الذي تدّعي رضاها عنه، وتعلم في قرارة نفسها أنها مجبرة عليه:

يا ذا العُلا وابن الخليـ فةِ والإمامِ المرتضى

يهنيكَ عيد قد جرى فيهِ بما تهوى القضا

(1) ابن سعيد: المغرب 2/ 164 والمقري: نفح الطيب 4/180-181.

وأتـــاكَ مـــن تهـــواهُ فـــي قيـــدِ الإنابـــةِ والرضـــى
ليعيـــدَ مـــن لذّاتـــهِ مـــا قـــد تصـــرّمَ وانقضـــى [1]

وتجتاح أبا جعفر نوبة من القلق والحيرة والغيرة، فيقول لها محقّراً شأن هذا الأمير الذي أخذت تتقرّب اليه: ((ما هذا الغرام الشديد به ؟ - ويعني به السيد، وكان شديد الأدمة - أو ما تحبين في ذلك الأسود، وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد بعشرين ديناراً خيراً منه)) [2]

وتبلغ قولته الأمير، فأسرّها في نفسه، واستشعر أبو جعفر النهاية، والسيد يتوسّد له المهالك، وهو يتحفّظ كل التحفظ، ويتوقع المهالك في كل خطوة يخطوها، ويبحث عن الأمن بأي ثمن، وقد صوّر لنا حالته البائسة هذه أصدق تصوير:

من يشتري منّي الحياة وطيبها ووزارتـــي وتـــأدبي وتهـــذّبي
فلقد سئمتُ من الحياةِ مع إمرئ متغضّـــبٍ متغلّـــبٍ متربـــبِ
المـوتُ يلحظنـي إذا لاحظتـهُ ويقـومُ فـي فكـري أوانَ تجنّبـي [3]

وأخذ السيد في أمره مع أبيه وأخوته، وكانت فتنة محمد بن سعد بن مردنيش في شرق الأندلس قائمة، وبقيت هذه المنطقة تحت إمرته منذ عام 542هـ حتى وفاته عام 568هـ، ولم يستطع الموحدون أن يستولوا على ما في حوزته من ولايات. فقال عبد الملك لأبنيه أبي جعفر ومحمد: ((إن حركنا حركة

(1) ابن سعيد: المغرب 139/2.
(2) ابن سعيد: المغرب 164/2 وابن الخطيب: الإحاطة 225/1.
والمقري: نفح الطيب 4/ 181 والأدمة: الجلد المدبوغ، أي شديد السمرة.
(3) ابن الخطيب: الإحاطة 225/1.

كنا سبباً لهلاك هذا البيت ما بقيت دولة هؤلاء القوم - ويعني الموحدين - والصبر عاقبته حميدة، وقد كنا ننهاك عن الممارجة، فلم تركب إلاّ هواك)) [1]

(1)

وأخذ أبو جعفر وأخوه عبد الرحمن وأتفقا أن يثورا في القلعة باسم ابن مردنيش، وقد ساعدهما على ذلك قريبهما حاتم بن سعيد، وخاطبوا ابن مردنيش، وصدر لهم جوابه بالمبادرة ووصلت منه خيل ضاربة متوجهة الى القلعة وتم لهم المراد، وأخّر أبا جعفر التردد ففاتاه، وتوقع أن يقبض عليه وهو في طريقه الى القلعة، فقد أصبح الطريق اليها صعباً تتخلله العيون. وراودته فكرة لعلها تنقذه من هذه المحنة وهي أن يتوجه الى مالقة، ولم تكن مالقة أكثر أمناً من الطريق الى القلعة، فقد وضع السيد العيون في كل جهة، فقبض عليه وألقي في السجن.

وعندما وجد أخوه عبد الرحمن أن خطتهما قد فشلت وانتهت فرّ الى أمير شرق الأندلس محمد بن مردنيش، ووجد السيد بذلك سبباً آخر للإيقاع بأبي جعفر، فطولع بأمره، وأمر بقتله صبراً سنة 559هـ.

ولمّا بلغ حفصة مقتله حزنت عليه كثيراً، ولبست الحداد علانية، وبكته جهرة على الرغم من تعرضها الى الإساءة والتهديد بالقتل، ورثته بأبيات منها:

هدّدوني من أجلِ لبس الحدادِ  لحبيـــبٍ أردوهُ لـــي بالحـــدادِ
رحـمَ اللهُ مـن يجـودُ بـدمعٍ  أو ينـوحُ علـى قتيـلِ الأعـادي [2]

(1) المصدر نفسه 225/1 والمُمارجة من المرج، ومعناه الفساد والفتنه.
(2) المصدر نفسه 1/ 227.

وعجز السيد أبو سعيد أن يجد الى قلبها طريقاً، وضاقت هي بالحياة في غرناطة، وقد شهدت فيها مصرع حبيبها، فارتحلت الى مراكش عاصمة الموحدين، وقصدت الخليفة عبد المؤمن، فأنشدته أبياتاً تطلب فيها الأمان والمأوى، وحقق لها الخليفة ما أرادت، واختارها مؤدبة لبناته، فوليت تعليم النساء في داره، وأمضت بقية حياتها في مراكش حتى وافاها الأجل عام 580هـ أو عام 586هـ [1]

وانتهت بموتها قصة غرام جريء في مجتمع إسلامي يحرص كثيراً على التقاليد والأعراف المستمدة من الإسلام والقيم العربية، فقصتهما تتقارب أو تتشابه في أكثر من موضع من قصة ولادة وابن زيدون التي ملأت الآفاق شهرة وصيتاً، ونالت اهتماماً كبيراً من لدن الأدباء والدارسين. [2]

وحينما نستعرض قصة حفصة وابن سعيد نراها الصورة المعكوسة لقصة ولادة وابن زيدون، والقصتان تتشابهان لأن كلا طرفيها شاعران، وإذا كانت ولادة قد ارتبطت بالوزير الشاعر ابن زيدون، فإن حفصة هي الأخرى قد ارتبطت بالوزير الشاعر ابن سعيد، وإذا كان ابن زيدون قد لقي منافساً هو الوزير ابن عبدوس، فإنّ أبا جعفر قد لقي أبا سعيد بن عثمان بن الخليفة عبد المؤمن منافساً قوياً. وإذا كان الدهر قد حرم ابن زيدون من ولادة وانقلابها عليه، واغترابه منفياً عن بلده، فقد كان أبو جعفر أوفر حظاً من صاحبه ابن زيدون، فقد ظلّ طول عمره معشوقاً، وكان أكثر وقته مطلوباً [3] لأن حفصة

(1) المصدر نفسه 502/1 وياقوت الحموي: معجم الأدباء 227/10.
(2) د. محمد مجيد السعيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين 183.
(3) د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي – موضوعاته وفنونه 219.

كانت أكثر شاعرية من ولادة، وأكثر جرأة في الهجوم على معاني العشق والغيرة والإثارة.

## 11 - شعره:

ذكر أبو القاسم محمد بن عبد الواحد المعروف بالملاحي مؤلف كتاب (تاريخ علماء ألبيرة) أن شعر أبي جعفر مدوّن [1] أي مجموع في ديوان، ولكننا لم نعثر على ديوانه، وإنما عثرنا على قصائد ومقطعات مبثوثة في مصادر الأدب، مثل: معجم الأدباء لياقوت الحموي، والمغرب في حلى المغرب، ورايات المبرزين، والمرقصات والمطربات لابن سعيد، والإحاطة لابن الخطيب، ونفح الطيب للمقري، ولعله يقصد الى أنه مدوّن في بعض المصادر

وقد تحدد هذا الشعر وفق أغراض معينة تنسجم ونظرة الشاعر للحياة وفلسفته فيها. فقد غلب الوصف على شعره، ولاسيما وصف الطبيعة الأندلسية، ويليه غرض الإخوانيات، وهو دعوات موجهة الى الأصحاب والإخوان لحضور مجالس الأنس والأدب المنعقدة بين أحضان الطبيعة. ويأتي بعدهما المديح وهو مديح موجّه الى والد الشاعر والى الخليفة عبد المؤمن، وهو في مديحه لا يبتغي النوال، وإنما التقرب والرضا من السلطان، فقد كان الشاعر من أسرة ميسورة تشتهر بالرئاسة والوزارة، ولا يحتاج الى التكسّب بشعره. ويأتي الغزل بعد ذلك، وهو غزل مقصور على حبيبته حفصة، وكان يهزل من بعض أصحابه وأخوانه فامتدت خفته هذه الى أغراضه الأخرى كالعتاب والاعتذار والمساجلات الشعرية وغيرها. فبلغت قصائده ومقطعاته ثلاث وسبعين قصيدة ومقطعة وموشحة واحدة.

(1) ابن الخطيب: الإحاطة 227/1.

ولكننا لا نظن أن هذا جل شعره إذا ما علمنا أنه كان يرتجل كثيراً من الأشعار، ولاسيما تلك التي تتعلق ببعض مجالس الأنس والأدب، وما يدور فيها من مساجلات شعرية، ومواقف اللقاء بين الحبيبين وما يدور فيه من مطارحات شعرية، وهي تستدعي سرعة الخاطر بعد التأثر بتلك المواقف التي تثير قريحة الشاعرين.

وشعره من الناحية الفنية يتميز بقدرة الشاعر على اختيار ألفاظه التي تناسب الغرض الذي ينشده، وإيداعها في عبارات تنم عن حسن التركيب، ويزخر شعره بالصور والاستعارات والمجازات، وأوزانه توافق أغراضه، فبحر الطويل والكامل استخدما في الوصف ودعوات الإخوان والمديح والاعتذار وهي أغراض جادة. واستخدم السريع في المواقف التي تثير الانفعالات كالعتاب والإخوانيات والوصف والتهكم. أما الخفيف والمجتث فقد استخدمهما في الغزل والمساجلات الشعرية.

ونثره قليل ويقتصر على بعض الرسائل في الاعتذار عن مجلس أنس أو تهنئة أو تسلية، وكثيراً ما كان يستشهد فيه بالشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين. ولعل إسهامه في كتاب (المغرب في حلى المغرب) دليل على ما يتمتع به من ثقافة وذوق أدبي رفيع.

# القسم الثاني

# ديوان أبي جعفر احمد بن سعيد

# القسم الثاني

## ديوان أبي جعفر احمد بن سعيد

- حرف الهمزة-

(1)

قال أبو جعفر احمد بن عبد الملك بن سعيد: (طويل)

1 - ألا هاتهـــا إنّ المســـرّة وما الحـزنُ إلاّ فـي تـوالي جفائهـا

2 - مُـداماً بكـى الابريـقُ عنـد وأضـحكَ ثغـرَ الكـأسِ عنـد لقائهـا

**التخريج:**

ابن سعيد: رايات المبرّزين 96

**الشروح:**

2 - المُدام: الخمرة التي يداوم على شربها.

- حرف الباء -

(2)

وقال يعتذر وقد دعي الى مجلس أنس: (طويل)

1 - لئنْ غبتُ عمّن نورُهُ نورُ فحســبي لديــهِ أنْ أغيــبَ عقابــا

2 - وسوفَ أوافيهِ مُقرّاً بزلّتي وفــي حملــهِ أنْ لا يُطيــلَ حســابا

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 191

**الشروح:**

2 - وفي حمله: حمل عليه: أي هاجمه، وتحامل عليه: تكلّف الجهد ومال عليه. ويريد الشاعر في إقراره بزلته لمن يعتذر اليه أن لا يتكلف في تحامله فيطيل حسابه.

(3)

وأخذ السيد أبو سعيد عثمان يتوسّد لأبي جعفر المهالك، وأبو جعفر يتحفّظ كلّ التحفّظ، وفي حالته تلك يقول: (كامل)

1 - مَنْ يشتري منّي الحياةَ ووزارتي وتأدّبي وتهذّبي

2 - بمحلِّ راعٍ في ذرى زُويتْ عن الدّنيا بأقصى مرتبِ

3 - لا حُكمَ يأخذه بها إلاّ لمَنْ يعفو ويرؤُفُ دائماً بالمُذنبِ

4 - فلقد سئمتُ من الحياةِ مع مُتغضّبٍ مُتغلّبٍ مترتّبِ

5 - الموتُ يلحظني إذا لاحظتهُ ويقومُ في فكري أوانَ تجنّبي

6 - لا أهتدي مع طولِ ما لرضاه في الدنيا ولا للمهرَبِ

**التخريج:**

ابن الخطيب: الإحاطة 1 / 225

**الشروح:**

2 - زويت: قُبضت وأبعدت، ويريد أن تكاليف الحياة مثل وزارته وتعلمه وتهذيبه لو تقبض وتجمع وتبعد الى محل عال، بعيداً عن الحياة الدنيا بأقصى ما يمكن.

4 - متغضب: من الغضب. ومتغلب: من الغلبة. ومترتب: أي يهيء له المصاعب للإيقاع به. والشاعر يحاول تجنبه قدر ما يستطيع.

(4)

قال أبو جعفر في الشاعر الرصافي البلنسي وقد أظهر الزهد وترك الخلاعة: (طويل)

1 - بدا زهدهُ مثل الخضابِ فلم يزلْبهِ ناصلاً حتى بدا زَورَ كاذبِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 515

**الشروح:**

الخضاب: ما يصبغ به الشيب من الحناء وغيرها. وناصل: أي بدت نصول أو جذور الشيب تحت الشعر الخضيب. ويريد الشاعر أن زهد الرصافي كذب، إذْ يُبدي الزهد ويخفي الخلاعة، ولكنه يفتضح مثل الشعر الناصل الذي يفضح الشعر الخضيب بالحناء.

(5)

وقال يخاطب أهل السلطة والسلطان: (خفيف)

1 - مـا خـدمناكمُ لأنْ تشـفعوا ... ـــنا بـدارِ الجـزاءِ يـومَ الحسـابِ

2 - ذاكَ يـومٌ أنـا أنـتَ سـواءٌ ... فيـهِ كـلٌّ يخـافُ سـوءَ العقـابِ

3 - إنمـا الشـأنُ الـذّبُ فـي هـذهِ ... ـــيا بســلطانكم عــن الأصــحابِ

4 - وإذا مـا خـذلتموهم بشـكوى ... وبخلـتم عـنهم بـردّ الجـوابِ

5 - فاعـذروهم إنْ يطلبـوا مـن ... نُصـرةً وارفعـوا حجـالَ العتـابِ

6 - وإذا أرض مُجـدب لفظتـهُ ... فلـهُ العـذر ُ فـي اتّبـاعِ السّـحابِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 183

**الشروح:**

2 - اقتبس المعنى من قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (سورة النساء 123).

5 - الحجال: الخلاخيل والقيود. ويريد الشاعر رفع القيود عن العتاب في طلب الناس النصرة من غير هؤلاء الحكام حين يخذلوهم بالشكوى ورد الجواب.

(6)

وقال وهو من حسناته: (سريع)

1 - شُقّتْ جيوبٌ فرحاً عندما ... آبـتْ وفـي البُعـدِ تشـقّ القلـوبْ

2 - فقلتُ هذا موقفٌ ما يُشقُّ الجيبُ فيه غيرُ صبّ طروبْ

3 - فابتسمتْ زهواً وقالتْ كذا أفقُ لعَودِ الشمسِ شقّ الجيوبْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 188

**الشروح:**

شق الجيب: تمزيق الثوب عند فتحة الصدر في حال الحزن.

قلب الشاعر المعنى فجعل شق الجيوب للفرح بعودة الحبيب، وشق القلوب عند فراقه.

آبت: رجعت أو عادت.

(7)

وشرب أبو جعفر ليلة مع أصحاب له وفيهم وسيم فأعرض بجانبه وقطّب، فتكدّر المجلس فقال أبو جعفر: (سريع)

1 - يا مَنْ نأى عنّا إلى جانبٍ صدّاً كمَيل الشمسِ عند الغروبْ

2 - لا تزوِ عنّا وجهكَ فالشمسُ لا يُعهدُ منها قطوبْ

3 - إنْ دامَ هذا الحالُ ما بيننا فإننا عمّا قريبٍ نتوبْ

4 - ما نشتكي الدهرَ ولا لولاكَ ما دارتْ علينا خطوبْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 184 - 185

**الشروح:**

1 - نأى: ابتعد

2 - لا تـزو: زوى الشـيء يزويـه زيّـاً: جمعـه وقبضـه. وفـي الحـديث الشريف: (زوى الله لـي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها) مسلم: صحيح مسلم - الإمارة 1855. وانزوت الجلدة في النار: اجتمعت وتقبّضـت. والمجتلـى: البـارز والواضـح والمكشـوف. والقطـوب: العبوس، وقطّب وجهه: عبس.

4 - الخطوب: مفردها خطب وهو الأمر الجليل، أي الصعب والخطير.

(8)

دعا أبو جعفر الشاعر ابن سيد الى منزله المطل على منازه (شنتبوس) وقد توارت الشمس خلف الأفق، وأسدل الليل ثوبه، فكشفت السماء عن نجومها، وتلألأت مصابيح منارة فانعكست على صفحة النهر: (مجتث)

قال ابن سيد:

اخلـعْ علـى النهـرِ ثـوبَ الـ كـــرى فـــذلكَ واجـــبْ

فقال أبو جعفر:

1 - وانظـرْ إلـى السُّـرجِ فيـهِ كـــالزُّهرِ ذاتِ الـــذّوائبْ

2 - وحـــينَ صـــفّقَ للأفـــ قِ نقّطتـــهُ الكواكـــبْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 198

**الشروح:**

1 - السُّرج: جمع سراج وهو المصباح الذي يتقد بالفتيل والزيت.

**- حرف التاء -**

(9)

وقال أبو جعفر يصف تمثال صورة جارية راقصة بسيوف وطيفور رخام يصنع في أنبوبة الماء صورة خباء: (طويل)

1 - وراقصةٍ ليستْ تحرّك ُ يحرّكها سيفٌ من الماءِ مُصلتُ

2 - يدورُ بها كرهاً فتنضي عليهِ فلا تَعيا ولا هو يُبهتُ

3 - إذا هي دارتْ سرعة خِلتَ إلى كلّ وجهٍ في الرياضِ تلفّتُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 497

**الشروح:**

1 - سيف مصلت: أي مشرع ومهيأ للضرب والطعن.

**- حرف الحاء -**

(10)

وكتب أبو جعفر الى والده يطلب إعفاءه من الوزارة: (مجتث)

1 - مولايَ في أيّ وقتٍ أنالُ في العيشِ راحَهْ

2 - إنْ لم أنَلها وعمري ما إنْ أنارَ صباحَهْ

3 - وللملاحِ عيونٌ تميلُ نحوَ الملاحَهْ

4 - وكـــاسُ راحـــي مـــا إنْ تمـــــــلُّ منّـــــــي راحَـــــــهْ

5 - والخطـــبُ عنّـــي أعمـــى لـــــم يقتـــــربْ لـــــي ســـــاحَهْ

6 - وأنـــتَ دونـــي ســـورٌ مـــــن العُـــــلا والرجاحَـــــهْ

7 - فـــــأعفِني وأقِلنـــــي ممّـــــا رأيـــــت صـــــلاحَهْ

8 - مـــا فـــي الـــوزارةِ حـــظٌّ لمَـــــنْ يريـــــدُ ارتياحَـــــهْ

9 - كَـــلٌّ وقـــالٌ وقيـــلٌ ممّـــــنْ يُطيـــــلُ نباحَـــــهْ

10 - أُنســـي أتـــى مُســـتغيثاً فـــــاتركْ فُـــــديتُ ســـــراحَهْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 180

**الشروح:**

9 - كَلّ: العيال والثقل، والرجل الكَلّ: الرجل ثقيل الظل قال تعالى: ((وهو كلّ على مولاه أينما يوجههُ لا يأتِ بخيرٍ...)) سورة النحل 76. والكَلّ: اليتيم أيضاً.

(11)

وقال عند أول حضوره أمام الخليفة عبد المؤمن بن علي : (وافر)

1 - عليكَ أحالني داعي النجاحِ ونحـــوكَ حثّنـــي هـــادي الفـــلاحِ

2 - وكنتُ كساهرٍ ليلاً طويلاً تـــرنّحَ حـــين بُشّـــرَ بالصـــباحِ

3 - وذي جهدٍ تغلغلَ في قِفارٍ شـــكا ظمـــأ فـــدُلّ علـــى القَـــراحِ

4 - دعانا نحوَ وجهكَ طيبُ ويدعو للرياضِ شذا الرياحِ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 164 والمقري: نفح الطيب 4 / 181. ورد في النفح البيت الأول: حادي الفلاح. والبيت الثالث: وذي جهل. والبيت الرابع: ويذكر للرياض.

**الشروح:**

2 - ترنّح: تمايل من السكر.

(12)

وأنشد في الخمر ما برز به على أبناء عصره، ومن ذلك قوله:

1ـ أعدنا فحمةَ الظلماءِ ناراً براحٍ باتَ موقدها براحِ

2 - فأشرقتِ الجهاتُ بها بما استرقتهُ من غُررِ الملاحِ

3 - وما زلنا نُديرُ الكأسَ وروضُ الجوّ يبسمُ عن أقاحِ

4 - إلى أنْ شُقّ جيبُ الليلِ وعُبّ بكأسنا ضوءُ الصّباحِ

5 - وقد بطحتْ كؤوس الرّاحِ لها صرعى على تلكَ البطاحِ

6 - شربناها وجيشِ الليلِ يعدو وأنجمهُ عوالٍ للرماحِ

7 - إلى أنْ خرّ شاكي الليلِ وسيفُ الصُّبحِ مُحمرّ النواحي

**التخريج:**

ابن سعيد: اختصار القدح المُعلى 162.

**الشروح:**

1 - فحمة الظلماء: شدة سواد الليل. والراح: الخمرة.

2 - الملاح: جمع مليحة وهي المرأة الحسناء.

3 - الأقاح: جمع اقحوان وهو نوع من الأزهار.

7 - سيف الصبح: شفق الأفق المحمر عند الصباح.

(13)

ولمّا قال الشاعر الشريف الأصم في وصف فحص السرادق أحد متنزهات قرطبة شعراً:

ألا فدعوا ذكر العذيبِ وبارقِ ولا تسأموا من ذكر فحصِ السرادقِ

قال أبو جعفر: فلما سمعت هذا الشعر لم أتمالك من الاستعبار، وحرّكني ذلك الى أن قلت في حَور مؤمّل سيد متنزهات غرناطة... ولم يذكر هنا ما قاله فيه، وذكره في موضع آخر. (المقري: نفح الطيب 1 / 475)

وفي هذا الموضع قال أبو جعفر في حور مؤمّل: (سريع)

1 - عرّجْ على الحَورِ وخيّمْ بهِ حيثُ الأماني ضافياتِ الجناحْ

2 - واسبقْ لهُ قبل ارتحالِ ولا تزرهُ دون شادٍ وراحْ

3 - وكُنْ مقيماً منهُ حيثُ تمتارُ مسكاً من أريجِ البطاحْ

4 - والقُضبُ مالَ البعضُ منها بعضٍ كما يثني القدود ارتياحْ

5 - وشقّ جيبَ الصبحِ نورٌ شقّتْ جيوب الطّلِ منها الرياحْ

6 - لم أحصِ كم غاديته ثابتاً واسترقصتني الراحُ عند الرّواحْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 517

**الشروح:**

1 - عـرّج: ارتفـع وارتقـى، وعـرّج انعطـف ومـال، ويريـد الشـاعر الانعطـاف نحـو الحـور. ضـافي: الضـفو: السـبوغ، وجنـاح ضـافي: سابغ

2 - شاد وراح: الشادي: المغني. والراح: الخمر.

3 - يمتار: الميرة: البضاعة وغيرها كالطعام، ويمتار المسك أي يبتاعه.

4 - والقضب: جمع قضيب وهي سيقان النبات.

**- حرف الدال -**

(14)

دخل أبو جعفر الى أحد منازه أشبيلية فأسمعه أحد السفهاء صوتاً قبيحاً، وأعلم أن الشاعر احمد بن سيد المشهور باللص قد أملى على السفيه ما قال وصنع، فكتب اليه معاتباً: (خفيف)

1 - يا سميّ وإنْ أفادَ اشتراكٌ غيـرَ مـا يرتضـيهِ فضـلٌ وودُّ

2 - أ كذا يُزدرى الخليلُ بأُفقٍ أنـتَ فيـهِ ولـم يكـنْ منـكَ ردُّ

3 - لا أرى منْ سلّطتَ وغداً لـيس يُخفـى عليـكَ مـن هـو وغـدُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 193

**الشروح:**

1 - سميّ: الذي يشاركه في التسمية، والشاعران أبو جعفر وابن سيد أسمهما أحمد .

2 - يزدرى: يحتقر ويعاب عليه.

3 - الوغد: الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه.

(15)

وقال يصف ناراً: (طويل)

1 - نظرتُ إلى نارٍ تصولُ إذا ما حسبناها تدانتْ تبعّدُ

2 - ترفّعها أيدي الرّياحِ وتارةً تخفّضها مثل المكبّرِ يسجدُ

3 - وإلاّ فمَنْ لا يملكُ الصّبرَ يقومُ بهِ غيظٌ هناكَ ويقعدُ

4 - لها ألسُنٌ تشكو بها ما وقد جعلتْ من شدّة القُرِّ ترعدُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 185

**الشروح:**

4 - شدّة القُر: شدة البرد.

(16)

أثار منظر الشمس وأشعتها الذهبية على صفحة النهر قريحة أبي جعفر وهو في منزله المطل على متنزّه شنتبوس، محفّزا ابن سيّد لمساجلته: (مجتث)

**1 - قال أبو جعفر:**

انظـرْ إلـى الشّـمسِ قـد ألـ صـقّتْ علـى الأرضِ خـدّا

**2 - فقال ابن سيد:**

هـي المـرآةُ ولكـنْ مـن بعـدها الأفـقُ يَصـدا

**3 - فقال أبو جعفر:**

مـدّتْ طـرازاً علـى النهْـ ـرِ عنـدما لاحَ بُـردا

**4 - فقال ابن سيد:**

أهـدَتْ لطَرفـكَ منـهُ مـا للأكـارمِ يُهـدى

**5 - فقال أبو جعفر:**

درعُ اللجـينِ عليـهِ سـيفٌ مـن التبـرِ مُـدّا

**6 - فقال ابن سيد:**

فاشـربْ عليـهِ هنيئـاً وزِدْ سـروراً وسـعدا

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 197 - 198

**الشروح:**

2 - يصدا: الهمزة مخففة وأصلها يصدأ، وتعني أن لون الأفق عند الغروب يتحول الى لون الصدأ، وهو لون أحمر غامق مشوب بسواد.

3 - الطراز: الهيئة أو الشكل أو العلامة، وثوب مطرّز أي معلم.

3 - اللجين: الفضة. والتبر: الذهب غير المسبوك أو المصوغ.

(17)

ولمّا طلع الفجر على أبي جعفر وصاحبه ابن سيد أثارهما المنظر: (مجزوء الرمل)

**1 - قال أبو جعفر:**

نثـــرَ الطـــلُّ عقـــودَهْ ونضـــا الليـــلُ بـــرودَهْ

**2 - فقال ابن سيد:**

وبـــدا الصّـــبحُ بوجـــهٍ مُطلـــعٌ فينـــا ســـعودَهْ

**3 - فقال أبو جعفر:**

وغَـــدا ينشـــرُ لمّـــا فتـــرَ الليـــلُ بنـــودَهْ

**4 - فقال ابن سيد:**

فهلّـــمَ اشـــربْ وقبّـــلْ مَـــنْ غـــدا يُنطـــقُ عـــودَهْ

**5 - فقال أبو جعفر:**

ثـــمّ صـــافحهُ علـــى رغـــ ـــمِ النّـــوى وافـــرِكْ نهـــودَهْ

**6 - فقال ابن سيد:**

واجعـــل الشـــكرَ علـــى مـــا نلتَـــهُ منـــهُ جحـــودَهْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 199 - 200

**الشروح:**

1 - الطل: قطرات المطر الخفيف أو الندى. ونضا بروده: خلع أثوابه.

3 - البنود: جمع بند وهو الراية التي تحمل العلامة الرسمية للدولة، أو ما يطلق عليه اليوم بالشعار.

6 - ضمّن الشاعر ابن سيد معنى بيت الشاعر التهامي:

فكم منْ يدٍ أوليننـي فجحدتُها وشـكرُ أيـادي الغانيـاتِ جحودُهـا

ينظر: التهامي: ديوانه 179

(18)

وقوله وقد مرّ بقصر من قصور الخليفة عبد المؤمن بن علي وقد رحل عنه:

**(بسيط)**

1 - قصـرَ الخلافـةِ لا أخليـتَ وإنْ خلـوتَ مـن الأعـدادِ والعُـددِ

2 - جُزنـا عليـهِ فلـم تـنقصْ والغيـلُ يخلـو وتبقـى هيبـةُ الأسـدِ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 167 والمقري: نفح الطيب 3 / 516 والبيت الأول في النفح: قصر الخليفة. والبيت الثاني: جزنا عليكَ.

**الشروح:**

2 - الغيل: بكسر الغين الأجمة من الشجر الملتف، وهي موضع الأسد، وجمعه غيول.

(19)

واجتمع بغرناطة محمد بن غالب الرصافي الشاعر المشهور، ومحمد بن عبد الرحمن الكتندي وغيرهما، فأخذوا يوماً في أن يخرجوا لنجد أو حور مؤمل، فقالوا ما لنا غنى عن أبي جعفر بن سعيد فكتبوا له شعراً:

بعثنا إلى ربّ السماحةِ والمجدِ ومن حاله في ملّةِ الظرفِ من ندِّ

الأبيات...

فكان جوابه لهم: (طويل)

1 - هو القولُ منظوماً أو الدرّ هو الزّهرُ نفّاحُ الصَّبا أم شذا الودِّ

2 - أتاني وفكري في عقالٍ فحلّ بنفثِ السّحرِ ما حلّ من عقدِ

3 - ومن قبل علمي أينَ مبعث علمتُ جنابَ الوردِ من نفَسِ الوردِ

4 - وأيقنتُ أنّ الدّهرَ ليس لتقديمِ عصرٍ أو وقوفٍ على حدِّ

5 - فكُلّ أوانٍ فيهِ أعلامُ فضلهِ ترادف موج البحرِ ردّاً على ردِّ

6 - فكمْ طيّها من فائتٍ متردّمٍ يهزّ بما قد أضمرتْ معطف الصّلدِ

7 - فيا مَنْ بهم تُزهى المعالي قياد المعاني ما سوى قصدكم قصدي

8 - فسمعاً وطوعاً للذي قد بهِ لا أرى عنهُ مدى الدّهرِ من بُدِّ

9 ـ فقوموا على اسمِ اللهِ نحو مقلّدةِ الأجيادِ موشيّة البُردِ

10 - بها قبّةٌ تُدعى الكمامةُ بها زهراً أذكى نسيماً من النّدِّ

11 - وعندي ما يحتاجُ كلُّ من الرّاحِ والمعشوقِ والكُتبِ والنّردِ

12 - فكُلٌّ إلى ما شاءهُ لستُ عناناً له أنّ المساعدَ ذو الودِّ

13 - ولستُ خليّاً من تأنّسِ إذا ما شدت ضلّ الخليُّ عن الرّشدِ

14 - لها ولدٌ في حجرها لا أوانَ غناءٍ ثمّ ترميهِ بالبُعدِ

15 - فيا ليتني قد كنتُ منها تُقلّبني ما بينَ خَصرٍ إلى نهدِ

16 - ضمنتُ لمنْ قد قالَ إنّي إذا حلّ عندي أنْ يحولَ عن الزُهدِ

17 - فإنْ كانَ يرجو جنّةَ الخُلدِ فعندي لهُ في عاجلٍ جنّة ُ الخُلدِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 514 - 515

**الشروح:**

10 - الندّ: عود طيب الرائحة يحرق لتنتشر رائحته الزكية.

11 - النرد: لعبة تقوم على رمي الأزرار في الحفر وتدعى اليوم (الطاولي).

17 - ضمّن عجز البيت قوله تعالى: ((قُل أذلك خيرٌ أم جنّة الخُلدِ التي وُعدَ المتّقون.)) سورة الفرقان 15.

(20)

وله وقد تقدّم في ليلة مظلمة أحد أصحابه، فطفئ السراج في يده فقال لوقته:

**(مجتث)**

1 - لي منْ جبينكَ هادي في الليلِ نحو مُرادي

2 - فما أريدُ سراجاً يدلّني لرشادِ

3 - أنّـــى وكفّـــكَ ســـحبٌ  يبـــــدو بهـــــا ذا اتّقـــــادِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 184

(21)

وقوله وقد بلغه أنّ حاسداً شكره: (مجتث)

1 - متـــى ســـمعتَ ثنـــاءً  عمّـــنْ غـــدا لـــكَ حاســـدْ

2 - فكـــانَ منـــكَ انخـــداعٌ  بـــــهِ فرأيُـــــكَ فاســـــدْ

3 - بصـــدرهِ منـــكَ نـــارٌ  لهيبُهـــــا غيـــــرُ خامـــــدْ

4 - وعلّـــهُ لـــكَ مـــا زِدْ  تَ فـــي السّـــعادةِ زائـــدْ

5 - وإنّمـــــا ذاكَ منـــــهُ  كالحَـــبِّ فـــي فـــخِّ صـــائدْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 189

- **حرف الراء-**

**(22)**

أجمع أبو جعفر رأيه على أن يفد على الخليفة عبد المؤمن بن علي، فأخذ في ذلك مع أصحاب له، فجعلوا يثنونه عن ذلك، وظهر عليهم الحسد له، فقال:

**(سريع)**

1 - سِـرْ نحـوَ مـا تختـارُ لا  مـــا قالـــهُ زيـــدٌ ولا عمـــرو

2 - كلّهُمُ يحمدُ ما رُمتهُ مهما يساعدُ رأيكَ الدّهرُ

3 - عجبتُ ممنْ رامَ صدرَ يرومُ أنْ يصفو لهُ دهرُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 188

**الشروح:**

3 - رام يروم: رام الشيء طلبه.

(23)

ومما قاله أبو جعفر في الخليفة عبد المؤمن وهو محتل بجبل الفتح: (طويل)

1 - تكلّمْ فقد أصغى إلى قولكَ وما لسواكَ اليومَ نهيٌ ولا أمرُ

2 - ورُمْ كلّ ما قد شئتهُ فهوَ وحاولْ فلا برٌّ يفوتُ ولا بحرُ

3 - وحسْبكَ هذا البحرُ فألاً فإنّهُ يقبّلُ تُرباً داسَهُ جيشُكَ الغمرُ

4 - وما صوتُهُ إلاّ سلامٌ مُردّدٌ عليكَ وعن بشرٍ بقُربكَ يفتَرُّ

5 - بجيشٍ لكي يلقى أمامكَ مَنْ يُعانِدُ أمراً لا يقومُ لهُ أمرُ

6 - أطلّ على أرضِ الجزيرةِ وجدّدَ فيها ذلكَ الخبَرَ الخُبرُ

7 - فما طارقٌ إلاّ لذلكَ مُطرقٌ ولابنِ نُصيرٍ لم يكنْ ذلكَ النّصرُ

8 - هُما مهّداها كي تحلَّ كما حلَّ عندَ التمِّ بالهالةِ البدرُ

ومنها:

9 - ألا إنّ قصراً قد بدا لي مُحيّاكَ أهلٌ أنْ يخرّ لهُ البدرُ

10 - أطلّ على البحرِ المحيط فختّمهُ الشّعرى وتوّجَهُ النّسرُ

11 - ووافتْ جيوشُ البحرِ مرادفةً لمّا تناهى بهِ الكِبرُ

12 - وما صوتُها إلاّ سلامٌ وفي كلّ قلبٍ من تصعّدها ذعرُ

13 - ألا قُل لهُ يعلو الثّريا أطلَّ على بحرٍ وحَلّ بهِ بحرُ

14 - مُحيطانِ بالدنيا فليسَ إذا لم يكنْ طلقَ اللّسانِ بهِ عُذرُ

**التخريج:**

الأبيات من (1 - 8) في ابن الخطيب: الإحاطة 1 / 223 - 224 والبيت الأول والأبيات من (9 - 14) في ابن سعيد: المغرب 2 / 165. في المغرب: البيت الأول: وما لسواك الآن.

**الشروح:**

6 - أرض الجزيرة: ويريد بها الأندلس، لأنها شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات، وبالغلبة سميت بذلك.

7 - طارق: وهو طارق بن زياد أحد القواد الذين فتحوا الأندلس. وأبن نصير: وهو موسى بن نصير أحد القواد الفاتحين للأندلس أيضاً.

10 - الشعرى: نجم في السماء ومنها الشعرى اليمانية والشعرى الشامية. والنّسر: نجم في السماء أيضاً.

(24)

وقال في نهر الوادي الكبير (نهر حمص) بأشبيلية: (مجزوء الرمل)

1 - نهـرُ حمـصٍ لا عـدمنا كَ فمـــــا مثلُـــــكَ نهـــــرُ

2 - فيـــكَ يُلتـــذُّ ارتيـــاحٌ أبـــــدَ الـــــدّهرِ وسُـــــكرُ

3 - كُـلُّ عُمـرٍ قـد خـلا منـْ كَ فمـــــا ذلـــــكَ عُمـــــرُ

4 - خصّـــــهُ اللهُ بمعنـــــى فيـــــهِ للألبـــــابِ ســـــرُّ

5 - يُلعـــنُ الإنســـانُ فيـــهِ وهـــــو يُصـــــغي ويُســـــرُّ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 192 - 193

(25)

ومن شعره يرد على كتاب لعله كتاب أبيه: (طويل)

1 - أتـاني كتـابٌ منـكَ يحسـدُهُ أمـا حبـرّهُ ليـلٌ أمـا طرسـهُ فجـرُ

2 - بـــهِ جمـــعَ اللهُ الأمـــاني وسَمعي وفكري فهو سحرٌ ولا سحرُ

3 - ولا غَـــروَ إنْ أبـــدى وفـــي ثوبـــهِ بـــرٌّ وفـــي كفّـــهِ بحـــرُ

4 - ولا عجب إنْ أينـعَ الزّهرُ فما زالَ صوبُ القَطرِ يبدو بـهِ الزّهرُ

**التخريج:**

ابن الخطيب: الإحاطة 1 / 226 - 227. وورد البيت الأول فقط في ابن سعيد: المغرب 2 / 165.

**الشروح:**

1 - الطِرس: الورق، وطرسه فجر: يريد به أن ورقه أبيض مثلما حبره أسود.

3 - ربّه: أي صاحب الكتاب.

(26)

وله يستدعي أحد أبناء الرؤساء الى يوم اجتماع: (وافر)

1 - تداركنا فإنّا في سرورٍ وما بسواكَ يكتملُ السّرورُ

2 - أهلّةُ أُنسنا بكَ في تمامٍ أليسَ تتمُّ بالشمسِ البدورُ ؟

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 186

**الشروح:**

2 - أهلة: جمع هلال، ويريد الشاعر أن المستدعى يمثل الشمس وهم الأهلة، وبحضوره فإن الأهلة تصبح بدور تمام.

(27)

وكتب الشاعر أبو الحكم بن هرودس الى أبي جعفر في يوم بارد بغرناطة، فوجّه بما طلب، وجاوبه بما كتب: (خفيف)

1 - أيّها السيّدُ الأجلُّ الوزيرُ الذي قدرُهُ مُعلّى خطيرُ

2 - قد بعثنا بما أشرتَ إليهِ دُمتَ للأُنسِ والسرورِ تُشيرُ

3 - كان لُغزاً فككتهُ دون فكرٍ إنّ فهمي بما تُريدُ خبيرُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 201

**الشروح:**

3 - اللغز: الكلام الذي خفي معناه، وعمّي مراده.

(28)

ولأبي جعفر في الغزل وهو من بدائعه: (كامل)

1 - إنّي لأحمدُ طيفَها وألومها والفـــرقُ بينهمـــا لـــديّ كبيـــرُ

2 - هيَ إنْ بدَتْ لي شيبةٌ في والطّيـفُ فـي حـين المشـيبِ يـزورُ

3 - وإذا توالى صدّها أو بينُها وافـــى علـــى أنّ المـــزارَ عســـيرُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 187

(29)

وكتب كل من أبي جعفر وحفصة الركونية بيتاً عن تدخل الكتندي بينهما، وملاحقته لهما وسقوطه في حفرة نجاسة مطمورة، فابتدأ أبو جعفر: (مجزوء الرجز)

1 - قُـــل للـــذي خلصـــنا منـــهُ الوقـــوعُ فـــي الخَـــ...

2 - ارجـــعْ كمـــا شـــاء... يـــا ابـــن... إلـــى ورا

3 - وإنْ تعُـــدْ يومـــاً إلـــى وصـــالنا ســـوفَ تـــرى

4 - يـــا أســـقطَ النـــاس ويـــا أنـــذلهم بـــلا مِـــرا

5 - هـــذا مـــدى الـــدّهرِ تُـــلا قـــي لـــو أتيـــتَ فـــي الكَـــرى

6 - يـــا لحيـــة تشـــغفُ فـــي الـــ ... وتشـــنا العنبـــرا

7 - لا قـــرّبَ اللهُ اجتمـــا عـــاً بـــكَ حتـــى تُقبـــرا

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 175. والمواضع المنقوطة تدل على ألفاظ قبيحة.

**الشروح:**

4 - أنذلهم: النذالة السفالة، والنذل الذي تنحط منزلته.

(30)

ولأبي جعفر قوله في حمّام: (بسيط)

1 - لا أنسَ ما عشتُ حمّاماً وكانَ عندي أحلى من جني الظّفَرِ

2 - نعمتُ جسمي في ضدّينِ (تنعّمَ الغصنِ بينَ الشّمسِ والمطَرِ)

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 182

**الشروح:**

2 - في عجز البيت الثاني تضمين لبيت الشاعر ابن بقي:

ضدّان ينعمُ جسمُ المرءِ بينهماكالغصنِ ينعمُ بين الشمسِ والقمرِ

ينظر: ديوان ابن بقي 58 جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، ط دار كوثا، دمشق 1997. وبحسب رواية الديوان يمكننا أن نسأل: ما علاقة القمر بحمّام المطر ؟ لذا أجد رواية الذخيرة والنفح (بين الشمس والمطر) هما الأصوب، وكما يدل عليه اللفظ (ضدّان) أي بين حرارة الشمس وبرودة المطر.

(31)

وقوله في والده وقد شدّ عليه درعاً، وخرج بجنده غازياً: (طويل)

1 - أيا قائدَ الأبطالِ في كُلِّ تطيرُ قلوبُ الأُسْدِ فيها من الذعرِ

2 - لقد قلتُ لمّا أنْ رأيتُكَ أيا حُسنَ ما لاحَ الحبابُ على النّحرِ

3 - وأنشدت والأبطالُ حولكَ أيا حُسنَ ما دارَ النجومُ على البدرِ

4 - فسِرْ مثلما سارَ الصّباحُ وأبْ مثلما آبَ النّسيمُ عن الزّهرِ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 167 ووردت الأبيات الثلاثة الأولى في المقري: نفح الطيب 4 / 189

**الشروح:**

2 - دارعا: مرتدياً الدرع استعداداً للقتال. والحباب هنا يريد به العرق الذي يلوح على رقبته.

**(32)**

وقال أبو جعفر يصف قلعة بني سعيد: (طويل)

1 - إلى القلعةِ الغرّاءِ يهفو بيَ كأنّ فؤادي طائرٌ زُمَّ عن وكْرِ

2 - هيَ الدّارُ لا أرضٌ سواها وحجّبها عنّي صروفٌ من الدّهرِ

3 - أليستْ بأعلى ما رأيتُ تجلّتْ بحليٍ كالعروسِ على الخدرِ

4 - لها البدرُ تاجٌ والثريا وما وشْحُها إلاّ من الأنجُمِ الزُّهرِ

5 - أطلّتْ على الفحْصِ رأى وجهةً منها تسلّى عن الفكرِ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 160

**الشروح:**

1 - زُمّ: جُرّ من زمامه، ويريد الشاعر أنه أُبعد عن قلعته كما يبعد الطائر عن وكره.

4 - شنوف: جمع شنف وهي الأقراط التي تضعها المرأة في أذنها لغرض الزينة. ويريد الشاعر أن هذه القلعة تاجها البدر وأقراطها الثريا.

5 - الفحص: وهو الأرض الفسيحة الخضراء.

(33)

وله ارتجالاً في غلام ساقٍ أسود: (طويل)

1 - أدارَ علينا الكأسَ ظبيٌ غدا نشرهُ واللونُ للعنبرِ الشّحري

2 - وزادَ لنا حُسناً بزهرٍ وحُسنُ ظلامِ الليلِ بالأنجُمِ الزُّهرِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 182

**الشروح:**

1 - العنبر الشحري: نسبة الى الشحر وهي مدينة تقع في حضرموت على ساحل البحر العربي وتشتهر باللبان والعنبر وغيرها.

(34)

وقال أبو جعفر بن سعيد: (طويل)

1 - ولمّا رأيتُ السّعدَ لاحَ مُنيراً دعاني ما رأيتُ إلى الذّكرِ

2 - فأقبلَ يُبدي لي غرائبَ وما كُنتُ أدري قبلها منزعَ السِّحرِ

3 - فأصغيتُ إصغاءِ الجديبِ إلى الحيا وكانَ ثنائي كالرياضِ على القطْرِ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 165 والمقري: نفح الطيب 4 / 183. في النفح البيت الأول: ما رأيت الى الشكر. وفي البيت الثاني: وما كنت أدري قبله.

**الشروح:**

2 - غرائب النطق: كلام غير معهود، أو غير مسموع من قبل.

3 - الجديب: الأرض اليابسة التي تحتاج الى الماء لينبت فيها النبات.

(35)

وقال أبو جعفر في الاعتذار من والده لتركه الوزارة، وقد أحسن ما شاء:

**(طويل)**

1 - تركتُكمُ لا كارهاً في جنابِكمْ ولكنْ أبى ردّي إلى بابكم دهري

2 - وطاحتْ بيَ الأطماعُ من كلِّ تُنقّلني من كلِّ سهلٍ إلى وعرِ

3 - وما باختيارٍ فارقَ الخُلدَ آدمٌ وما عنْ مرادٍ لاذَ أيّوبُ بالصّبرِ

4 - ولكنّها الأيّامُ ليستْ مقيمةً على ما اشتهاهُ مُشتهٍ أمدَ العُمرِ

5 - وإنّكَ إنْ فكّرتَ فيما أتيتهُ تيقّنتَ أنّ التركَ لم يكُ عن غدرِ

6 - ولكنْ لجاجُ في النفوسِ إذا رجعتُ كما قد عادَ طيرٌ إلى وكرِ

7 - وإنّي لمنسوبٌ إليكم وإنْ نأتْ بيَ الدّارُ عنكم والغديرُ إلى القَطْرِ

8 - وإنّـي لمُـثنٍ بالـذي نلـتُ مـنكُمُ مُقـيمٌ علـى مـا تعلمـونَ مـن البِـرّ

9 - وإنْ خنتكُم يوماً فخاننيَ المُنى وسـاءَ لـديكُم بعـدَ إحمـادهِ ذكـري

10 - على إنني أقررتُ إنّيَ مُذنبٌ وذو المجـدِ مَـنْ يُغنـي المُقـرّ عـن

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 185

**الشروح:**

3 - اقتبس معنى صدر البيت من قوله تعالى: ((وقُلنا يا آدم اسكنْ أنتَ وزوجكَ الجنّةَ وكُلا منها حيثُ شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلّهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيهِ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرضِ مستقرٌّ ومتاع إلى حين.)) سورة البقرة 35 - 36.

واقتبس معنى عجز البيت من قوله تعالى: ((وأيّوب إذْ نادى ربَّهُ أنّي مسّني الضّرُّ وأنتَ أرحمُ الراحمين. فاستجبنا لهُ فكشفنا ما بهِ من ضرّ وآتيناهُ أهلهُ ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين.)) سورة الأنبياء 83 - 84.

6 - لجاجٌ: ولجاجةٌ بفتح اللام، وملاّجة، وهي المبالغة أو التمادي في الخصومة.

(36)

وقال في رجل خلوق: (طويل)

1 - يقـومُ علـى الآدابَ حـقَّ ويكبُـرُ عمّـا يُظهـرونَ مـن الكِبْـرِ

2 - كصَـوبِ الحَيـا إنْ ظـلَّ غَدا سامعاً مثل المُصيخِ إلى الشُّكرِ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 165

**الشروح:**

2 - المُصيخ: المستمع، ويريد الشاعر بأن هذا الرجل يريد الاستماع الى الشكر فحسب.

(37)

وقـــــال فـــــي وصـــــف امـــــرأة تقـــــود:

**(سريع)**

1 - قـــوّا... تفخـــرُ بالعـــارِ أقـــودُ مـــن ليـــلٍ علـــى ســـارِ

2 - ولآجـةٌ فـي كُـلِّ دارٍ ومـا يـــدري بهـــا مـــن حـــذقها داري

3 - ظريفـــةٌ مقبولـــةٌ المُلتقـــى خفيفـــةُ الـــوطءِ علـــى الجـــارِ

4 - لحافُهـا لا ينطـوي دائمـاً أقلـــقُ مـــن رايـــةِ بيطـــارِ

5 - قد رُبيتْ مُذْ عرفَتْ نفعَها مـــا بـــينَ فُتّـــاكٍ وشُـــطّارِ

6 - جاهلـةٌ حيثُ ثوى مسجدٌ عارفـــــةٌ حانـــــةَ خمّـــــارِ

7 - بسّـــامةٌ مُكثـــرةٌ بِرّهـــا ذاتُ فكاهـــــاتٍ وأخبـــــارِ

8 - علمُ الرياضاتِ حوتهُ وسا ســـــتهُ بتقـــــويمٍ وأســـــحارِ

9 - منّاعـةٌ للنعـلِ مـن كيسِـها موســـرةٌ فـــي حـــالِ إعســـارِ

10 - تكادُ من لُطفِ أحاديثِها تجمــعُ مــا بــينَ المــاءِ والنّــارِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 184

**الشروح:**

2 - حذقها: الحذق: المهارة، وحاذقة ماهرة أو خبيرة في صنعتها.

4 - البيطار: الطبيب، وراية البيطار العلامة التي تدل عليه.

5 - الفُتّاك: الفاتك الجرئ على القتل،والفتك القتل، والفُتّاك جماعة شهروا بهذه التسمية.

والشُطّار: الشاطر الذي أعيا أهله والناس بحيله، وهم جماعة أيضاً عرفوا بهذه التسمية.

9 - منّاعة للنعلِ: أي لا تصرف على نفسها من جيبها حتى ولو على نعلها الذي تنتعله وهو ثمن بخس.

(38)

وكتب أبو جعفر الى حفصة الركونية معتذراً بعد اعتكافه مع جارية سوداء أظرف اعتذار:

**(منسرح)**

1 - لا حُكــمَ إلاّ لآمــرٍ نــاهِ لــهُ مــن الــذّنبِ يعتــذرْ

2 - لــهُ مُحيّــا بــهِ حيــاتي أُعيــذُ مجــلاهُ بالسّــورْ

3 - كضحوةِ العيدِ في ابتهاجٍ وطلعــةِ الشّــمسِ والقمَــرْ

4 - بسَـــعدِهِ لـــم أمِـــلْ إليـــهِ إلاّ طريفـــــاً لـــــهُ حَبَـــــرْ

5 - عـــدمتُ صُـــبحي فاســـودَّ وانعكَـــــسَ الفكـــــرُ والنظـــــرْ

6 - إنْ لـم تلُـحْ يـا نعـيمَ روحـي فكيـــــفَ لا تُفســـــدُ الفِكَـــــرْ

**التخريج:**

يـاقوت الحمـوي: معجـم الأدبـاء 10 / 224 - 225. وابـن الخطيـب: الإحاطة 1 / 500 - 501. في الإحاطة البيت الأول: من ذنبه معتذر. والبيت الثاني: أعيذ مداه. والبيت الثالث: كصحبة العيد. والبيت الرابع: سعده لم أمل اليه... إلاّ اطّرافاً له خبر.

**الشروح:**

2 - مجلاه: منظره أو صورته الواضحة المكشوفة للناظر.

3 - كضحوة العيد: أي بعد الانتهاء من صلاة العيد، تعم الناس فرحة أداء التهنئة والتبريك بينهم ويتم ذلك في وقت الضحى.

4 - الطريف: الحديث، أو الرجل الذي يأتي بالجديد. والحَبَر: بفتح الباء السرور. قال تعالى: ((فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يُحبرون.)) سورة الروم 15.

**- حرف السين -**

(39)

وقال في شعاع القمر والشمس المنعكس على النهر: (طويل)

1ــ ألا حبّذا نهرٌ إذا ما لحظتَهُ أبى أنْ يردَّ اللّحظَ عن حُسنِهِ الأُنسُ

2 - ترى القمَرينِ الدّهرَ قد يُفضّضــهُ بــدرٌ وتُذهبُــهُ شــمسُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 516 وورد البيتان أيضاً في المصدر نفسه 4 / 189

**الشروح:**

2 - القمرين: يريد بهما الشمس والقمر، يفضضه: يجعله كالفضة، ويذهبه: يجعله كالذهب.

## - حرف الصاد ـ

(40)

وقال يصف خروجه الى الصيد في يوم بارد: (طويل)

1 - ويومٍ تجلّى الأفقُ فيهِ من الغيمِ لُذنا فيهِ باللّهوِ والقَنَصْ

2 - وقد بقيَتْ فينا منَ الأمسِ منَ السُّكرِ تُغرينا بمُنتهَبِ الفُرَصْ

3 - ركبنا لهُ صُبحاً وليلاً أصيلاً وكُلٌّ إنْ شدا جلجَلٌ رقَصْ

4 - وشُهب بُزاةٍ قد رجمنا طيوراً يُساغُ اللهوُ إنْ شكَتْ

5 - وعن شفَقٍ تُغري الصّباحَ إذا أوثقَتْ ما قد تحرّكَ أو قمَصْ

6 - ومِلنا وقد نِلنا من الصّيدِ على قَنَصِ اللّذاتِ والبردُ قد قرَصْ

7 - بخيمَةِ ناطورٍ توسّطَ جحيمٌ بهِ مَنْ كانَ عذّبَ قد خلَصْ

8 - أدِرنا عليهِ مثلَهُ ذَهبيّةً دعتهُ إلى الكُبرى فلم يجبُ الرَّخَصْ

9 - فقُلْ لحريصٍ أن يراني بخِدمتِهِ لا يُجعلُ البازُ في القفَصْ

10 - وما كُنتُ إلاّ طوعَ نفسي مُطيعاً لمَنْ عن شأوِ فخري قد نقَصْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 180 - 181. وورد البيت التاسع فقط في ابن سعيد: المغرب 2 / 164.

**الشروح:**

3 - جلجل: اسم أو لقب للمغني الذي يشدو لهم.

6 - السؤل: السؤال أو المطلب.

7 - ناطور: وأصله ناظور وهو الرجل الذي يقوم بالمراقبة والحراسة.

8 - ذهبية: ويريد بها الخمرة التي يميل لونها الى الشقرة أو الذهب.

9 - حريص: يشير بذلك الى الأمير أبي سعيد عثمان والي غرناطة، وقد استوزره وضيق عليه الخناق، ولعله يعني بحريص شدّة حرصه على مراقبته وملاحقته.

**- حرف العين -**

(41)

وقال في وصف روض: (طويل)

1 - ألا حبّذا روضٌ بكرنا له وفي جنَباتِ الرّوضِ للطّلِّ أدمُعُ

2 - وقد جعلَتْ بين الغصونِ تمزّقُ ثوبَ الطّلِّ منها وترقعُ

3 - ونحنُ إذا ما ظلّتِ القُضبُ نظَلُّ لها من هزّةِ السُّكرِ نركعُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 517

**الشروح:**

1 - الطّل: المطر الخفيف. وجمعه طِلال، وطلّت الأرض فهي مطلولة.

(42)

وله في صحبة الجاهل: (طويل)

1 - أيا لائمي في حملِ صُحبةِ قَطوبِ المُحيّا سيّء اللّحظِ والسّمعِ

2 - لمنفعةٍ تُرجى لديهِ صحِبْتُهُ وإنْ كان ذا طبعٍ يُخالفُهُ طبعي

3 - كما احتمَلَ الإنسانُ شُربَ دواءِ لما يرجو لديهِ من النّفعِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 185

**الشروح:**

1 - قطوب المُحيّا: عبوس الوجه.

## - حرف الفاء -

(43)

وقوله في انبلاج الفجر، وهو من بدائعه: (طويل)

1 - بدا ذَنَبُ السّرحانُ يُنبئُ أنّهُ تقدّمَ سَبْقاً والغزالةُ خلفَهُ

2- ولم ترَ عيني قبلها من مُتابعٍ لمَنْ لا يزالُ الدّهرُ يطلبُ حتفَهُ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 167. والمقري: نفح الطيب 3 / 515. في النفح البيت الأول: تقدّم سبتٌ.

**الشروح:**

1 - ذنب السّرحان: الفجر. والغزالة: الشمس. وهما توريتان.

## - حرف القاف -

(44)

ولمّا اجتمع وجهه بوجه أبيه - وقد أخرجه عبد المؤمن من السجن - جعل يحمد الله تعالى جهراً، ويغرّد بهذه الأبيات: (طويل)

1 - طلَعْتَ علينا كالغزالةِ وعزُّكَ طمّاحٌ ووجهُكَ مُشرقُ

2 - فغفراً لذنبِ الدّهرِ أجمَعَ أتى اليومَ من حُسناهُ ما هوَ أليَقُ

3 - فلُحْ في سماءِ العزِّ وقدرُكَ سامٍ أُفقُهُ ليسَ يُلحقُ

4 - فقد سرَحَتْ لمّا غدَوتَ قلوبٌ وأفكارٌ وسمعٌ ومنطقُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 190 - 191

**الشروح:**

1 - الغزالة: الشمس. وطمّاح: عال ومرتفع.

(45)

وكتب أبو جعفر الى حفصة راغباً بالوصال والأنس الموصول: (خفيف)

1 - أيُّ شُغلٍ عن المُحبِّ يعوقُ يا صباحاً قد آنَ منهُ الشّروقُ

2 - صِلْ وواصِلْ فأنتَ أشهى من لذيذِ المُنى فكم ذا نشوقُ

3 - لا وحُبّيك لا يطيبُ صَبوحٌ غِبت عنهُ ولا يطيبُ غَبوقُ

4 - لا وذلِّ الجّفا وعزِّ التلاقي واجتماعٍ إليهِ عزَّ الطريقُ

**التخريج:**

ياقوت الحموي: معجم الأدباء 10 / 226 - 227. وابن الخطيب: الإحاطة 1 / 501. في الإحاطة البيت الأول: عن الحبيب يعوق... يا صاحباً قد آن. والبيت الثاني: من جميع المنى... ذا تشوق. والبيت الثالث: بحياة الرضى يطيب صبوح... عرفاً إنْ جفوتنا أو غبوق. والبيت الرابع: لا وذلّ الهوى.

**الشروح:**

1 - وحُبيكَ: قسم بالحب الذي يكنه لها. الصّبوح: الشراب في وقت الصباح. والغبوق: الشراب في وقت المساء.

(46)

وله وقد جلس الى جانبه رجل تكلّم فأنبأ عن علوّ قدر، فسأله عن بلده، فقال: أشبيلية، ففكر ثم قال: (بسيط)

1 - يا سيّداً لم أكُنْ من قبلُ حتّى تكلّمَ مثل الرّوضِ بالعبَقِ

2 - وزادني أنْ غدا في لقد تشاكلَ بينَ البدرِ والأُفقِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 186

**الشروح:**

1 - العبق: الرائحة أو الطيب المتعلق أو الملتصق بالروض.

2 - تشاكل: مشاكلة، وافق موافقة له.

(47)

وله يدعو الى ترك العتاب: (مجتث)

1 - لا تُكثـــــرنَّ عتـــــابي إنْ طـــــالَ عنـــــكَ فراقـــــي

2 - فمـــــا يضـــــرّ بعـــــادٌ يطـــــولُ والـــــودُّ بـــــاقي

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 183

(48)

وقوله في غلام أسود وقد لبس بياضاً: (متقارب)

1 - وغُصْـنٍ مـنَ الآبنـوس بعـــاجٍ كلّيـــلٍ عـــلاهُ فلَـــقْ

2 - يُحاكي لنا الكأسَ في كفّهِ صـــباحٌ بجُـــنحٍ عـــلاهُ شَـــفَقْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 182

**الشروح:**

1 - الآبنوس: وهو خشب أسود صلب يمكن صقله لدرجة اللمعان، وتنمو أشجاره في جنوب شرق آسيا. والعاج: مادة ثمينة تتكون منها أنياب الفيلة، وتصنع منها كثير من التحف وأدوات الزينة بالحفر والنقش عليها.

(49)

وقال متغزّلاً: (مخلع البسيط)

1 - أبصَـرهُ مـنْ يلـومُ فيـهِ فقـــالَ ذا فـــي الجمـــالِ فـــائقْ

2 - أما ترى ما دُهيتُ منهُ كان عذولاً فصارَ عاشقْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 189

**الشروح:**

2 - العذول: العذل الملامة واللّوم، والعاذل والعذول اللائم.

- **حرف الكاف -**

(50)

وقال على لسان إنسان أُخلقت بُردته: (سريع)

1 - مولايَ هذي بُردتي أُخلقَتْ ولـيسَ شيءٌ دونها أملِكُ

2 - وصرتُ منْ بأسٍ ومنْ فاقةٍ أبكي إذا أبصرتُها تضحكُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 186

**الشروح:**

1 - البردة: وهو كساء أسود مربع يلبس فوق الثياب . أخلقت: أصبحت بالية فتمزّقت.

- **حرف اللام-**

(51)

وقال أبو جعفر من أبيات في بسيط غرناطة: (كامل)

1 - يا حُسنَ يومِ المهرجانِ يومٌ كم تهوى أغرُّ مُحجَّلُ

2 - سـرِّحْ لحاظَـكَ حيـثُ شـئتَ فـــي كُـــلِّ موقـــعِ لحظـــةٍ مُتأمَّـــلُ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 168 وورد البيت الثاني أيضاً في المصدر نفسه 2 / 103.

والمقري: نفح الطيب 3 / 517.

(52)

وقال له السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة: ما أنت إلاّ أحسن الفراسة وافر العقل، فأجاب: (طويل)

1 - نسَبتُم لمَنْ هذّبتموهُ فراسةً وعقـــلاً ولـــولاكمْ للازَمـــهُ الجّهـــلُ

2 - ومـا هوَ أهلٌ للثنـاءِ وإنّمـا عُلاكُـــم لتقليـــدِ الأيـــادي لـــهُ أهـــلُ

3 - ومـا أنـا إلاّ مـنكُمُ وإلـيكُمُ ومـا فـيَّ مـنْ خيـرٍ فـأنتُم لـهُ أصـلُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 183

**الشروح:**

1 - هذبتموه: التهذيب التنقية، ورجل مهذّب: طاهر الأخلاق. والفِراسة: بكسر الفاء، التثبّت والنظر. وفي الحديث الشريف (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ينظر: الترمذي: الجامع الكبير (سنن الترمذي) كتاب التفسير - رقم 3127 - تحقيق شعيب ارناؤط، مطبعة الرسالة العالمية 1430هـ.

(53)

وله وقد سافر أحد الرؤساء من أصحابه: (متقارب)

1 - أيـا غائبـاً لـم يغـبْ ذكـرُهُ ولا حـــالَ عـــن ودِّهِ حائـــلُ

2 - لـئنْ مـالَ دَهـريَ بـي عـنكُمُ فقلبــــي نحــــوكمُ مائـــلُ

3 - فـإنيَ شـاهدتُ مـنكمُ عُـلاً مـن العجْــزِ قُــسٌّ بهـا باقِــلُ

4 - لـئنْ طـالَ بـي البُعـدُ عـن فمـا فــي حيـاتي إذنْ طائــلُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 188

**الشروح:**

3 - قُس: وهو قس بن ساعدة بن حذافة الإيادي، من خطباء العرب البلغاء قبل الإسلام، وهو أول من خطب على العصا والراحلة. توفي قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة.

باقل: من حمقى العرب، ويضرب به المثل في العِي (أعيا من باقل) ينظر: الميداني: مجمع الأمثال - رقم المثل 2595.

(54)

وله وقد سافر بعض الأراذل بماله، فنكب في سفره، وعاد فقيراً بأسوء أحواله:

**(بسيط)**

1 - أُغـدُ ولا يُغْـنِ عنـكَ القيـلُ فـالجودُ مبتسـمٌ والفضـلُ يختـالُ

2 - قالوا فلانٌ رماهُ اللهُ في سَفرٍ رآهُ رأياً بما حالتْ بهِ الحالُ

3 - فآبَ منهُ سليباً مثل مولدِهِ عليهِ ذلٌّ وتفجيعٌ وإقلالُ

4 - فقُلتُ: لا خفّفَ الرحمنُ عنهُ يكُنْ لديهِ على القُصّادِ إقبالُ

5 - فقُل لهُ: دامَ في ذلٍّ ومسغبةٍ ولا أُعيدَتْ لهُ في المالِ آمالُ

6 - قد كانَ حمقُكَ حُسنُ المالِ فاليومَ أصبحتَ لا عقلٌ ولا مالُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 187 - 188

**الشروح:**

1 - القيل والقال: القول أو الكلام الذي يدور على ألسن الناس. يختال: يزهو ويتبختر.

5 - مسغبة: مجاعة بسبب المحل أو القحط.

(55)

وله وقد خطر على منزله من اليه ميل، وقال: لولا أخاف التثقيل لدخلت وانصرف. فلما علم أبو جعفر كتب اليه: (سريع)

1 - مولايَ لِمْ تقصُدُ تعذيبَ يهوى وما قصدُكَ مجهولُ

2 - طلبتَ تخفيفاً ببُعدٍ وفي تخفيفِ مَنْ تهواهُ تثقيلُ

3 - غيرُكَ إنْ زارَ جنى ولجّ منهُ القالُ والقيلُ

4 - وأنتَ إنْ زُرتَ حياةٌ وما عيشُ إذا ما طالَ مملولُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 186

(56)

وقال متغزّلاً: (خفيف)

1 - زارَها مَنْ غدا سقيمَ هواها وبـــراهُ شـــوقاً إليهـــا النّحـــولُ

2 - وكـذا الـرّوضُ لا يـزورُ أبـــداً نحـــوهُ النّســـيمُ العليـــلُ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 166

(57)

وأنشد في الخمرة وطبيعتها: (سريع)

1 - مشـمولةٌ ظلنـا بهـا سُـجّداً بالنـــارِ والمـــاءِ حـــوّتْ شَـــملها

2 - صـيّرها المـاءُ مجوسـيّةً والشّـــكرُ قـــد صـــيّرنا مثلهـــا

**التخريج:**

ابن سعيد: رايات المبرّزين 96

**الشروح:**

1 - مشمولة: وشمول وهي الخمرة إذا كانت باردة الطعم. وسميت بذلك وكأن ريح الشمال قد ضربتها.

2 - مجوسية: من صفات الخمرة، ويريد الشاعر أن هذه الخمرة بعد إضافة الماء اليها أصبحت طبيعتها نارية، والشاربون من حولها مثل اجتماع المجوس حول النار لتقديسها.

والشكر: كذا ورد اللفظ، ولعل الصواب (والسّكر) لأنه يناسب المعنى.

(58)

ومن شعره ما يجري مجرى المرقص، وقد اجتمع مع الشاعرين الرصافي والكتندي على راحة ومسمع بجنته: (مجزوء الكامل)

1 - للهِ يومُ مسرّةٍ أضوى وأقصَرُ من ذبالَهْ

2 - لمّا نصَبنا للمُنى فيهِ بأوتارٍ حبالَهْ

3 - طارَ النهارُ بهِ كمُر تاعٍ فأجفلّتْ الغزالَهْ

4 - فكأننا منْ بعدِهِ بعنا الهدايةَ بالضّلالهْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 515. ووردت في المصدر نفسه أيضاً 4 / 192. وردت الأبيات الثلاثة الأولى في ابن سعيد: المغرب 2 / 167. وفي ابن الخطيب: الإحاطة 1 / 227. ورد في الإحاطة البيت الثاني: من أوتار. وفي المغرب البيت الثالث: وأجفلت الغزالة. وفي الإحاطة البيت الثالث: ظلّ النهار... وأجفلت.

**الشروح:**

1 - **أضوى:** الضّوى: الهُزال، ورجل ضاوي: هزيل أو نحيف. وأضوى: أكثر هزالاً.

وذبالة: الفتيل. ويريد الشاعر أن يوم مسرّته أنحف وأقصر من فتيل فانوس.

3 - **النهار:** ذكر الحُبارى، وأشار اليه بقوله (طار النهار). والغزالة: الشمس. وذكر المقري: ((ولا يخفى حسن التوريتين، ولم يقدر أحد أن ينزعه من يديه))المقري: نفح الطيب 3 / 515، 4 / 192.

4 - **الهداية والضلالة:** من المثير للعجب كيف لشاعر مسلم أن يبيع هدايته بثمن خاسر وهي الضلالة ؟ وقد اقتبس ذلك من قوله تعالى: ((أولئكَ الذين اشتروا الضلالةَ بالهُدى فما ربحتْ تجارتهم وما كانوا مهتدين.)) سورة البقرة 16.

(59)

وقوله في الخمرة: (خفيف)

1 - اسقني مثلَ ما أنارَ لعيني شـــفَقٌ ألـــبّسَ الصّـــباحَ جمالَـــهْ

2 - قبلَ أنْ تُبصرَ الغزالةَ تستدْ رجُ منـــهُ علـــى السّـــماءِ غُلالـــهْ

3 - وتأمّلْ لعسجَدٍ سالَ نهراً كرَعـــتْ فيـــهِ أو تقضّـــى غزالـــهْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 516

**الشروح:**

2 - الغزالة: الشمس. والغلالة: الثوب الشفاف الرقيق.

3 - العسجد: الذهب. وكرعت: شربت الماء بفمها من النهر، ولم تشرب بكفيها أو بإناء.

(60)

قال أبو جعفر قبل وقت التفرّق بعد ليلة وصال مع حفصة الركونية في بستان بحور مؤمل:

**(طويل)**

1 - رعى اللهُ ليلاً لم يُرَعْ بمُذمّمِ عشيّةَ وارانا بحورٍ مؤمّلِ

2 - وقد خَفَقَتْ من نحوِ نجدٍ إذا نفحَتْ جاءتْ بريّا القَرنفُلِ

3 - وغرّدَ قُمريٌّ على الدّوحِ قضيبٌ من الرَيحانِ منْ فوقِ جدوَلِ

4 - يُرى الرّوضُ مسروراً بما عناقٌ وضمٌّ وارتشافُ مُقبّلِ

**التخريج:**

ياقوت الحموي: معجم الأدباء 10 / 221 - 222. وابن سعيد: رايات المبرّزين 92 - 93. وابن الخطيب: الإحاطة 1 / 499. والمقري: نفح الطيب 3 / 218. ووردت في المصدر نفسه أيضاً 4 / 177. ووردت الأبيات الأول والثالث والرابع في ابن سعيد: المرقصات والمطربات 88. وابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ق2 11 / 279 البيت الأول: في الرايات: بحورٍ مؤمّل (وهو الأصوب لأنه ورد كذا في أغلب الروايات)

وفي المرقصات: لم يرح... بجود مؤمل. وفي الإحاطة: رعانا ودارانا بحَوز

مؤمل. وفي النفح: بحور مؤمل. وفي النفح برواية أخرى: لم يرح..بحور مؤمل

وفي المسالك: لم يزل... عشية وافانا بحور مؤمل.

البيت الثاني: في الرايات: هبّت بريّا. وفي الإحاطة: وقد نفحت من نحو... جاءت بريّا.

البيت الثالث: في المسالك: فانثنى.

البيت الرابع: في الرايات: ترى الروض. و في المرقصات: أترى الروض. وفي النفح:

ترى الروض. وفي المسالك: ترى الروض

**الشروح:**

1 - يرُع: الرّوع الفزع والخوف. مذمِّم: الرجل الذي يذم الناس بكلام قبيح.

2 - نجد: ما ارتفع من الأرض، وهو ما أرتفع من أرض الجزيرة العربية من تهامة الى أرض العراق. أريجة: نفحة من الرائحة الطيبة. وريا: رائحة. القرنفل: زهرة لشجرة دائمة الخضرة، مزهرة ولها رائحة طيبة.

3 - قُمري: نوع من الحمام، وهو طائر صغير خفيف الجسم. الدوح: مفردها دوحة وهي الشجرة العظيمة من الأشجار.

4 - مُقبّل: من قبّلَ فهو مُقبّل على زنة مفعّل من التقبيل، وهو الثغر.

**(61)**

وكتب أبو جعفر للشاعر الكتندي في ظهر رقعته كلاماً، وذيّله بقوله:

**(مجزوء الكامل)**

1 - سَمّاكَ مَنْ أهواهُ حائلْ إنْ كُنتَ بعدَ العتْبِ واصلْ

2 - مع أنّ لونَكَ مُزعجٌ لو كُنتَ تُحبسُ بالسّلاسلْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 175.

(62)

كتبت حفصة لأبي جعفر رقعة تخبره بزيارتها له، فأجابها بقوله: (سريع)

1 - أُجلّكُـمُ مـا دامَ بـي نَهضَـةٌ عن أنْ تزوروا إنْ وجدتُ السّبيلْ

2 - مـا الرّوضُ زَوّاراً ولكنّمـا يــزورُهُ هــبُّ النّســيمِ العليــلْ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 166

**الشروح:**

1 - نهضة: نهض قام، ونهضة: القدرة على القيام بالأمر.

## - حرف الميم -

(63)

وقوله متغزّلاً في حفصة: (كامل)

1 - فـي الـرّوضِ منـكِ مُشـابهٌ يهفــو لهــا طَرفــي وقلبــي المُغــرَمُ

2 - الغُصنُ قَدٌّ، والأزاهرُ حِليةٌ والــوردُ خــدٌّ، والأقــاحي مَبسِــمُ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 167. والمقري: نفح الطيب 3 / 516. في النفح البيت الأول: يهفو له طرفي.

**الشروح:**

2 - الأقاحي: مفردها أقحوان، وهو نبت البابونج طيب الرائحة، زهرته وسطها اصفر وحولها ورق أبيض.

(64)

بعثت حفصة أبياتاً لأبي جعفر لتنوب عن زيارتها له، فكتب اليها: (رمل)

1 - قد أتانا منكِ شعرٌ مثلما أطلعَ الأفقُ لنا أنجمَهُ

2 - وفمٌ فاهَ بهِ قد أقسَمَتْ شفتي باللهِ أنْ تلثمَهُ

**التخريج:**

ابن سعيد: المغرب 2 / 166

(65)

وطلب أبو جعفر من حفصة الاجتماع بها فمطلته شهرين، فكتب لها:

**(مجتث)**

1 - يا مَنْ أُجانبُ ذكرَ إسـ ـمهِ وحسبي عَلامَهْ

2 - ما إنْ أرى الوعدَ يُقضى والعُمرُ أخشى انصرامَهْ

3 - اليومَ أرجوكَ لا أنْ تكونَ لي يومَ القيامَهْ

4 - لو قد بصُرتَ بحالي والليلُ أرخى ظلامَهْ

5 - أنوحُ وجداً وشوقاً إذْ تستريحُ الحمامَهْ

6 - صبٌّ أطالَ هواهُ على الحبيبِ غرامَهْ

7 - لمَنْ يتيهُ عليهِ ولا يردُّ سلامَهْ

8 - إنْ لم تُنيلي أريحي فاليأسُ يُثني زمامَهْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 173

**الشروح:**

2 - انصرامه: انقضاؤه وانتهاؤه.

3 - اقتبس معنى قوله تعالى: ((ادخلوا الجنّةَ أنتُم وأزواجُكم تُحبرون)) سورة الزخرف 70.

(66)

وقوله مما كتب به الى أخيه محمد وقد ورد منه كتاب بإنعام: (مجتث)

1 - وافى كتابُكَ يُنبي عنْ سابغِ الإنعامِ

2 - فقلتُ دُرٌّ ودَرٌّ منْ زاخرٍ وغَمامِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 182

**الشروح:**

1 - يُنبي: يُخبر وأصلها يُنبئ بالهمز وحذفت للتخفيف. وسابغ: وافٍ وتام لا نقصان فيه. والإنعام: العطاء مأخوذ من النعمة.

2 - دُرّ: بضم الدال ما يستخرج من البحر مثل اللؤلؤ وغيره. ودَرّ: بفتح الدال متدفق من الضرع مثل اللبن. وزاخر: وافر وملآن كالبحر. وغمام: السحاب والغيم. وقد قابل الشاعر بين دُر وزاخر، وبين دَر وغمام.

(67)

وقال يذم حمّاماً: (سريع)

1 - يا رُبَّ حمّامٍ لعنّا بهِ أبدى إلينا كُلَّ حمّامِ

2 - أُفقٌ لهُ قَطرٌ حميمٌ كما أصمَتْ سهامٌ منْ يَدَيْ رامي

3 - يخرقُ سُحباً للدُخانِ الذي لاحَ نعـــيم العـــارضِ الهـــامي

4 - وقـــيّمٍ يجـــذبُني جَذبـــةً وتـــــارةً يكســـــرُ إبهـــــامي

5 - ويجمعُ الأوساخَ من لؤمِهِ فـــي عَضُـــدي قَصـــداً لإعلامـــي

6 - وازدحَمَ الأنـذالُ فيـهِ وقـد ضَـــجّوا ضَـــجيجاً دونَ إفهـــامِ

7 - وجُملـةُ الأمـرِ دخلنـا بنـي ســـامٍ وعُـــدنا كبنـــي حـــامِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 182

**الشروح:**

1 - حمّام: موضع الاستحمام. كلّ حمّام: على زنة فعّال، كل شيء فيه شديد السخونة كالماء والحجر وغيره.

2 - قطر حميم: قطرات ماء ساخنة تتكثف من البخار، وتتساقط من سقف الحمّام.

4 - قيّم: القائم بأمر الحمّام، ويقوم بتدليك المستحمين.

5 - العضد: السّاعد وهو من المرفق الى الكتف.

6 - الأنذال: مفرده نذل وهو السافل أو المنحط منزلة.

7 - بنو سام وحام: وهما إبنا النبي نوح (عليه السلام) سام جد العرب. وحام جد السود.

(68)

وجلس أبو جعفر وابن سيد المعروف باللص في أحد منازه الوادي الكبير في أشبيلية، وأخذا يشربان، ولمّا أظلم الليل تساجلا: **(مجزوء الرمل)**

1 - قال أبو جعفر: سقّني والأفقُ بنجومِ اللّيلِ مُعلَمْ
2 - فقال ابن سيد: وبساطُ النّهرِ وهو فضّيٌّ مُدَرهَمْ
3 - قال أبو جعفر: ورواقُ اللّيلِ والشّذا بالرّوضِ قد نَمْ
4 - فقال ابن سيد: والنّدى في رُ على عِقدٍ مُنظّمْ
5 - قال أبو جعفر: والصَّبا جرّتْ تِ الطُّلى كفَّ ابن مريَمْ
6 - فقال ابن سيد: كانَ مبهوتاً نفخَتْ فيهِ تكلّمْ
7 - قال أبو جعفر: وكأنّ الكأسَ وةَ دينارٌ ودرهَمْ
8 - فقال ابن سيد: وبدا الدّفُ عودَ والمِزمارُ هيّمْ
9 - قال أبو جعفر: فأذاعَ الأُنسُ كُلَّ ما قد كانَ مُكتَمْ
10 - فقال ابن سيد: أيُّ عَيشٍ تورَ لو كانَ ابنُ أدهَمْ
11 - قال أبو جعفر: هكذا العَيشُ من زمانٍ قد تقدّمْ
12 - فقال ابن سيد: حينَ لا خَمرٌ بكؤوسِ البيضِ من دَمْ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 198 - 199.

**الشروح:**

1 - بُرد: وأبراد وبرود مفردها بُردة، وهي كساء أسود مربع تلبسه الأعراب فوق الثياب.

مُعلم: أعلم الثوب جعل فيه علامة فهو معلَم.

5 - الطّلى: ولد ذوات الظلف. وابن مريم: المسيح عيسى (عليه السلام) ويشير الى كفه في المسح لشفاء المرضى، وإحياء الموتى بإذن الله تعالى. قال تعالى: ((وتُبرئ الأكمهَ والأبرصَ بأذني وإذ تُخرجَ الموتى بأذني...)) سورة المائدة 110.

6 - مبهوت: أصابته الدهشة والحيَرة.

10 - ابن أدهم: أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم أحد أعلام الزهد والورع في القرن الثاني للهجرة ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان 1 / 31 - 32.

## - حرف النون -

(69)

وله وقد لقي أحد إخوانه وكان قد أطال الغيبة عنه، فدار بينهما ما أوجب أن قال:

**(كامل)**

1 - إنْ لُحتَ لم تلمَحْ سواكَ أو غبتَ لم تذكُرْ سواكَ الألسُنُ

2 - أنتَ الذي ما إنْ يُملُّ ومغيبُهُ السّلوان عنهُ يُؤمَنُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 187.

**الشروح:**

2 - السّلوان: التناسي ومحاولة النسيان.

(70)

وله وقد حضر مجلساً مع إخوان له في انبساط ومزاح، فدخل عليهم أحد ظرفاء الغرباء بوجه طلق وبشاشة، فاهتزّ لمّا سمع بينهم، وجعل يصل ما يحتاج من مزاحهم الى صلة بأحسن منزع وأنبل مقصد، فأنشد أبو جعفر ارتجالاً: (سريع)

1 - يا سيّداً قد ضمّهُ مجلسٌ ... حلَّ بهِ للمَزحِ إخوانُ

2 - لم نلْقَ من فَجْأتهِ خَجلةً ... ولا ثَنانا عنهُ كُتمانُ

3 - كأنّهُ منْ جمعِنا واحِدٌ ... لم ينْبُ منّا عنهُ إنسانُ

4 - ولم نكُنْ ندريهِ لكنْ بَدا ... في وجهِهِ للظّرفِ عُنوانُ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 187

**الشروح:**

3 - ينبو: يتجافى ويتباعد.

(71)

ومن نظم أبي جعفر قوله: (كامل)

1 - لو لم يكُنْ شَدْوَ الحمائمِ ... شَدوَ القِيانِ لما استخفَّ الأغصُنا

2 - طَرَبٌ ثنى حتّى الجّمادَ ... وأفاضَ من دمعِ السّحائبِ أعيُنا

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 516.

(72)

وقوله في خروجه الى أحد المنازه: (خفيف)

1 - ولقد قُلتُ للذي قالَ حُلّوا هـا هُنـا: سِـرْ فإننـا مـا سـئمْنا

2 - لا تُعـيّنْ لنـا مكانـاً ولكـنْ حيثُمـا مالـتِ اللّـواحظِ مِلنـا

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 3 / 516.

**الشروح:**

1 - حلّوا: أقيموا أو انزلوا في هذا المكان.

2 - اللواحظ: مفردها لحظ، وهو مؤخرة العين.

(73)

كتب الشاعر الكتندي رقعة لأبي جعفر ومعه حفصة يسألهما إنْ كانا يريدان خليلاً خفيف الظل، فتناول أبو جعفر رقعته وكتب على ظهرها: (مجتث)

1 - يـا مَـنْ إذا مـا أتـاني جَعلتـهُ نصـبَ عينـي

2 - تَـراكَ ترضـى جُلوسـاً بـينَ الحبيـبِ وبينـي

3 - إنْ كـانَ ذاكَ فمـاذا تبغـي سـوى قُـرب حَيْنـي

4 - والآنَ وقـد حصـلتَ لـي بعـدَ المَطـالِ بـدَيني

5 - فـإنْ أتَيـتَ فـدَفعاً منهـا بكِلتـا اليَـدينِ

6 - أو لـيسَ تَبغـي وحاشـا كَ أنْ تُـرى طَيْـرَ بَـيْنِ

7 - وفـي مبيتِـكَ بالخَمْـ سِ كـلّ قُـبحٍ وشَـيْنِ

8 - فلـيسَ حقّـكَ إلاّ الـ خُلـوّ بـالقمَرينِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 174 - 175.

**الشروح:**

3 - حَيني: الحين الهلاك والموت، وقد حان الرجل: هلك.

4 - المطال: التسويف وإطالة وقت دفع الدَين.

6 - طير بين: مثل الغراب والبوم فإن العرب يتشاءمون منهما.

8 - القمرين: الشمس والقمر ويعني بهما الشاعر نفسه وحبيبته حفصة.

(74)

وقال أبو جعفر في أبيه وقد سجنه عبد المؤمن: (كامل)

1 - مــولايَ إنْ يحبسْـكَ خيـرُ ... فبـذاكَ فخـرُكَ واعـتلاءِ الشّـانِ

2 - فـالجفنُ يَحـبسُ نـورَهُ مـن ... والمُرهَفاتُ تُصانُ في الأجفانِ

3 - فابشِـرْ فنَـزعُ الـدُّرِّ مـنْ ... يُعليـــهِ للأســـلاكِ والتيجـــانِ

4 - ولـئن غَـدا مَـنْ ظـلّ دونـكَ ... إنّ القــذى مُلقًــى عــن الأجفــانِ

5 - والعينَ تحبسُ دائماً أجفانُها ... وهدايـــةُ الإنســـانِ بالإنســـانِ

6 - والطّـرسُ يخـتمُ مـا حـواهُ ... ويُهـانُ مـا يبـدو مـن العُنـوانِ

7 - فاهنـأ بـهِ لكـنْ مليّـاً مكثُـهُ ... ســجناً لغيــرِ مذلّــةٍ وهَــوانِ

8 - فلتَعْلُوَنْ رغمَ الأعادي بعدَهُ ... بـذُرى الخليفـةِ فـي ذُرى كَيـوانِ

**التخريج:**

المقري: نفح الطيب 4 / 189 - 190.

**الشروح:**

2 - الغِبطة: حسن الحال.والمرهفات: السيوف. الأجفان: الأغماد.

3 - الأسلاك: خيوط نظم الدر.

4 - القذى: ما يخرج من العين من صديد.

6 - الطّرس: رقعة من جلد أو ورق يكتب فيها.

8 - كيوان: معناه بالسريانية كوكب زحل.

(75)

ومن متنزّهات غرناطة المشهورة (حور مؤمّل، واللشتة، والزاوية، والمشايخ) وقد ذكر أبو جعفر الحور في شعر تقدّم إنشاده، وذكره في موشحته البديعة. وهي:

ذهّبَتْ شمسُ الأصيلِ فضّة النّهرِ

أيُّ نهرٍ كالمُدامهْ
صيّرَ الظّلَّ فدامَهْ
نسَجَتهُ الرّيحُ لامَهْ
وثَنَتْ للغُصنِ لامَهْ

فهوَ كالعضْبِ الصّقيلِ حُفَّ بالشَّفْرِ

مُضحكاً ثغرَ الكِمامِ
مُبكياً جَفنَ الغمامِ
مُنطقاً وُرقَ الحَمامِ
داعياً إلى المُدامِ

فلهذا بالقبولِ خُطَّ كالسّطْرِ

حبّذا بالحَورِ مغنى
هيَ لفظٌ وهو معنى
مُذهِبُ الأشجانَ عنّا
كم دَرينا كيفَ سِرنا

ثُـــمَّ فـــي وقـــتِ الأصـــيلِ لـــــــم نكـــــــنْ نـــــــدري

قُلتُ والمزجُ استدارا
بذُرى الكأسِ سوارا
سالِباً منّا الوِقارا
دائراً منْ حيثُ دارا

صـــــادَ أطيـــــارَ العقـــولِ شـــــــــــبَكُ الخمـــــــــــرِ

وعَدَ الحبُّ فأخلَفْ
واشتهى المَطْلَ فسوّفْ
ورسولي قد تعرَّفْ
منهُ بما أدري فحرَّفْ

بـــــاللهِ قُـــلْ يـــا رســـولي لِـــــــشْ بِغـــــــبْ بـــــــدري

**التخريج:**

الموشحة في ابن سعيد: المغرب 2 / 103 - 104.

# المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم

2 - ابن الأبّار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي - 658 هـ.
المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة 1957.

3- ابن بسّام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني - 542 هـ.
الذخيرة في محاسن الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، ط دار الثقافة، بيروت 1979.

4 - ابن بقي: أبو بكر يحيى بن محمد - 540 هـ.
ديوان ابن بقي الأندلسي، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، ط دار كوثا، دمشق 1997.

5 - ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد - 456 هـ.
جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط دار المعارف، بمصر 1962 .

6 - ابن حزم: طوق الحمامة في الأُلفةِ والأُلاف، ضبطه وحرر حواشيه د. الطاهر أحمد مكي، ط دار المعارف بمصر 1962.

7 - ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله - 776 هـ.
الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط دار المعارف، مصر 1955.

8 - ابن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، نشره محب الدين بن الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة 1347 هـ.

9 - ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد - 681 هـ.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، ط دار الثقافة،

بيروت 1968.

10 - ابن سعيد: أبو الحسن علي بن موسى - 685 هـ.

اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة 1959.

11 - ابن سعيد: رايات المبرّزين وغايات المميّزين، تحقيق د. النعمان عبد المتعال، مطابع الأهرام، القاهرة 1959.

12 - ابن سعيد: المرقصات والمطربات، نشر دار حمد ومحيو، بيروت 1973.

13 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، ط دار المعارف، بمصر 1964.

14 - ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر - 764 هـ.

فوات الوفيات، تحقيق د. إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت 73 - 1974.

15 - ابن فضل الله العمري: شهاب الدين احمد بن يحيى - 749 هـ.

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج 11. نسخة مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا - كلية الآداب - جامعة بغداد.

16 - د. أحمد حاجم الربيعي: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، ط الدار العربية للموسوعات، بيروت 2013.

17 - د. أحمد حاجم الربيعي: القصص القرآني في الشعر الأندلسي، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2010.

18 - د. أحمد حاجم الربيعي: منهج البحث الأدبي في الأندلس، ط الدار العربية للموسوعاتبيروت 2010.

19 - الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى - 279 هـ.

الجامع الكبير (سنن الترمذي) تحقيق شعيب ارناؤط، ط الرسالة العالمية 1430 هـ.

20 - التهامي: أبو الحسن علي بن محمد التهامي - 416 هـ.

ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي، تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن الربيع، ط مكتبة المعارف، الرياض 1402 - 1982.

21 - د. جودة الركابي: في الأدب الأندلسي، ط دار المعارف، مصر 1970.

22 - د. حسين مؤنس: الجغرافية والجغرافيون الأندلسيون، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، م 11 –12 .

مدريد 1963 - 1964.

23 - د. حكمة علي الأوسي: الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، المطبعة العالمية، القاهرة 1976.

24 - الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم - (حيا 866 هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار، نشره ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1937.

25 - السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر - 911 هـ.

نزهة الجلساء في أشعار النساء، تحقيق عبد اللطيف عاشور، ط مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة 1986.

26 - د. الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط دار المعارف بمصر 1980.

27 - علي بن الجهم: أبو الحسن علي بن جهم القرشي - 249 هـ.

ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مراد، ط وزارة المعارف، الرياض 1400هـ ـ 1980.

28 - د. علي محمد حمودة: تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والإجتماعي، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة 1957.

29 - غارسيا غومس: الشعر الأندلسي: بحث في تطوّره وخصائصه، ترجمة حسين مؤنس، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1969.

30 - كراتشكوفسكي: الشعر العربي في الأندلس، ترجمة د. محمد منير مرسي، مطبعة مخيمر، القاهرة 1971.

31 - المتنبي: أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي - 354 هـ.

ديوان المتنبي، ط دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1403هـ - 1983.

32 - د. محمد مجيد السّعيد: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ط دار الرشيد، بغداد 1980.

33 - المراكشي: عبد الواحد بن علي - 647 هـ. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة 1963.

34 - مسلم بن الحجاج القشيري - 261 هـ. صحيح مسلم، تحقيق نظير بن محمد الفاريابي، ط دار طيبة 1427 هـ - 2006.

35 - د. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه، ط دار العلم للملايين، بيروت 1975.

36 - المقري: أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني - 1041 هـ.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، ط دار صادر، بيروت 1968.

37 - الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد - 518 هـ.مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار المعرفة، بيروت.

38 - ناجية مرّاني: الحب بين ترثين، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد 1980.

39 - الناصري السلاوي: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، الدار البيضاء، 1954.

40 - ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله - 626 هـ.

معجم الأدباء، نشر د. أحمد فريد، ط دار المأمون، القاهرة 1938.

41 - ياقوت الحموي: معجم البلدان، تصحيح محمد أمين، مطبعة السعادة، مصر 1906.